christianlib.com





دراسةٌ ونصّ

بقلم

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

www.christianlib.com



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

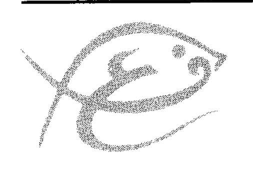
أبو رائطه التكريتي (القرن التاسع الميلادي)

و

رسالته «في الثالوث المقدس»

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com



الفلاسفة والمتكلمون
العرب المسيحيون - العصر الوسيط

أبو رائطه التكريتيّ (القرن التاسع الميلادي)
و
رسالتهُ «في الثالوث المقدّس»

دراسةٌ وَنصّ

بقلم
الأب سليم دكّاش اليسوعيّ



دار المشرق
بيروت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ١٩٩٦
دار المشرق ش.م.م. ص.ب. ٩٤٦، بيروت - لبنان

ISBN 2-7214-8054-5

التوزيع : **المكتبة الشرقيَّة**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت - لبنان

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهرس المحتويات

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الأوّل

ملامح من حياة أبي رائطه التكريتيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كان أبو رائطه التكريتيّ في طليعة مَن كتبوا باللغة العربيّة في مختلف موضوعات الإيمان المسيحيّ، إلاّ أنّه لم يَحْظَ بمؤرِّخٍ معاصرٍ يستعرض أهمّ مراحل حياته ويصف لنا أبرز ملامح شخصيّته. لا يُعرف عنه سوى القليل، شأنه شأن علماء الكلام المسيحيّين في القرن التاسع الميلاديّ أمثال ثاوذورس أبي قرّه وعمّار البصريّ. حتّى إنَّ هويّته يلفّها الالتباس والغموض: فالمستشرق الألمانيّ جورج غراف (Georg Graf) نشر مجموعة أعماله تحت اسم حبيب بن خدمه، أبو رائطه[١]. ويتحدّث أبو البركات بن كَبَر والمؤتمن بن العسّال عن مؤلِّفنا فيحدِّدان اسمه على الوجه التالي: «أبو رائطه حبيب بن حديثه التكريتيّ، اليعقوبيّ السريانيّ، أسقف تكريت، من كرسيّ سروج»[٢]، مع العلم بأنّ

---

(١) راجع:
Georg Graf, *Die Schriften des Jacobiten Ḥabib Ibn Ḥidmah Abū Ra'iṭa*, coll. «Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium», (Louvain 1951), vol. 130 (texte arabe), p. 1-26; vol. 131 (trad. allemande), p. 1-31.

(٢) راجع:
Georg Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, coll. «Studi e Testi», (1947), p. 438-445.
أثبتَ ابن كَبَر اسم أبي رائطه في الفصل الأوّل من كتابه **مصباح الظلمة**، وقد قرأ الأب لويس شيخو وڤيلوكور كلمة «حَدِيثَة» بالتصغير «حُدَيْثَة». أمّا المستشرق غراف فقد قرأ «خدمه» وقد جاءت من دون نقاط في المخطوطات (حدمه)، ثمّ درجت العادة عند المهتمّين بالتراث العربيّ المسيحيّ على تبنّي هذه الكتابة، كما نحن نتبنّاها في هذا المؤلَّف.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بعض المخطوطات اختلفت في قراءة نسبة أبي رائطه، بحيث إنّ بعضها جعلها ابن حَدِيثَه، وبعضها الآخر ابن حُدَيبه أو حُدَيْثَه. وتتعقّد الأمور عندما تقول بعض المصادر إنّ أبا رائطه كان أُسقفًا، في حين ينفي بعضها الآخر أن يكون هذا الكاتب قد ارتدى ثياب الحَبْرِيَّة.

١. السيرة: غموض ومعلومات قليلة

ثمَّة تاريخان يتّصلان بحياة كاتب **الرسالة في الثالوث الأقدس**. فمن المؤكَّد أنّ حبيب بن خدمه أبي رائطه (سنعتمد هذه الكتابة) أرسل ابن أخيه الشمّاس إليان النصّيبيّ سنة ٨١٧ إلى البطريق أشوط بن سنباط الملقّب بأبي العبّاس، حاملًا رسالةً يشرح فيها عقيدة اليعاقبة في موضوع الثلاثة التقديسات. وقد جاء في **الرسالة الثالثة** من مجموعة رسائل أبي رائطه أنّ البطريق أراد جمع أبي رائطه وثاوذورس أبي قرّه ومناقشتهما في موضوع التقديسات. لكنّ أبا رائطه لم يستطع الحضور أمام البطريق لأنّه كان «مكتبلًا مأسورًا، محولًا بيني وبين المسارعة إلى أمرك والتحرّك إليك»، فأرسل إليه ابن أخيه ومعه الموقف اللاهوتيّ من موضوع التقديسات، وقد طلب أبو رائطه إلى موفده أن يقرأ الرسالة ثلاث مرّات أمام البطريق والأشراف قبل مناقشة أبي قرّه في الأمر. ما أثبتته هذه الرسالة هو أنّ أبا رائطه كان يُمثِّل طائفته في أمور العقيدة والمواقف الجدليّة، وأنّ كاتبنا حال الأَسر والكَبْل بينه وبين المسارعة أمام البطريق لمناقشة أبي قرّه، المدافع عن عقيدة الخلقيدونيّين. وإذا كان أبو رائطه، في الرسالة التي حملها ابن أخيه إلى البطريق، لا يشير إلى سبب وجوده في الأسر، فإنّ مطلع الرسالة في الثالوث الأقدس يفيدنا بأنّ مواقف أبي رائطه وجداله مع مَن اختلفوا معه في الدين، كانت تسبّب له

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشقاء والخوف. ويفيدنا فحوى الرسالة إلى البطريق أنَّ أبا رائطه كان في عزّ عطائه حوالى السنة ٨١٥، أيّام كان البطريق ممثّلًا الخليفة هارون الرشيد في أرمينيا (٨٠٦-٨٢٥). والمعلوم أيضًا أنّ أبا قرّه توجّه إلى أرمينيا حوالى السنة ٨١٥ في إطار جولاته التبشيريّة(٣).

أمّا التاريخ الثاني فقد أورده ميخائيل السريانيّ، بطريرك أنطاكية اليعقوبيّ (+ ١١٧١) في تاريخه الكبير، حيث أورد أنّ أبا رائطه كان واحدًا من ثلاثين وجيهًا التقوا في سينودس «رأس عينا» الذي التأم سنة ٨٢٨ لمناقشة أمور الكنيسة اليعقوبيّة وأحوالها. ويضيف **تاريخ ميخائيل السريانيّ** أنّ كاتبنا حاول مع ابن أخيه إليان النصيبيّ التآمر بهدف إقالة الأسقف فيلوكسينوس راعي أبرشيَّة نصيبين(٤) من منصبه. إنَّ المعطيات التاريخيّة هذه، مع بعض الإشارات التي نصادفها في رسائل أبي رائطه (على سبيل المثال محاورته ثمامه المعتزليّ في الجزء العاشر من أعمال كاتبنا)، تثبت أنّ ما نعرفه من أعمال أبي رائطه الفكريّة يمكن حصره في الربع الأوّل من القرن التاسع. أمّا ما يخصّ مولده ومماته ونشأته وعلاقاته ودراسته، فلا نجد أمرًا يساعد على كشف المجهول منها والمستور.

٢. أبو رائطه، «الفيلسوف والمنطقيّ»

نعرف عن أبي رائطه أنّه «كان متبسّطًا في علمَي الفلسفة والمنطق»، وهذا ما يقوله البطريرك السريانيّ ديونيسيوس التلمحري (+ ٨٤٥) في تاريخه، وهو كان معاصرًا له. وقد نقل ميخائيل

(٣) راجع: *CSCO*، رقم ١٣٠ ص ٦٥-٦٦.

(٤) راجع **تاريخ ميخائيل السريانيّ**، نشرة شابو.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

السريانيّ، في طيّات تاريخه، ما قاله ديونيسيوس عن أبي رائطه[٥] فالتكريتيّ، على حدّ قول ديونيسيوس، كان متبسّطًا في علمَي الفلسفة والمنطق، ممّا يعني أنّه كان من ذلك الرعيل الذي أخذ عن التراث الفكريّ اليونانيّ، وقد نُقِلَ معظمه إلى السريانيّة فالعربيّة. والفيلسوف، في عصر الترجمة والنقل، عصر المأمون، هو مؤثر الحكمة، كما يقول الفارابي. «والمؤثر الحكمة، يضيف الفارابي، هو الذي يجعل الوكدَ من حياته وغرضَه من عمره الحكمة». والجرجانيّ يعرّف الحكمة بأنّها «العلم الذي يبحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشريّة، فهي علم نظريّ غير آليّ». وغاية الحكيم، كما يقول الشهرستانيّ، «هو أن يتجلّى لعقله كلّ الكون، ويتشبّه بالإله الحقّ تعالى وتقدّس بغاية الإمكان»، وغاية المنطقيّ هي «البحث عن أحوال المعاني التي في ذهن الإنسان من حيث يتأدّى بها إلى غيرها من العلوم»[٦].

ويمكن القول إنّ أبا رائطه، في كتاباته الجدليّة الكلاميّة، يؤثر الحكمة ويريدها بحيث يعتمد أساسًا على العقل والمنطق، لا سيّما على الأدوات الجدليّة التي أفرزها الفكر الأفلاطونيّ والأرسططاليّ، إذ إنّ العقل والمنطق هما العنصر المشترك بين البشر. وإن لم يكن أبو رائطه فيلسوفًا على مثال الكنديّ والفارابي، فهو عالمٌ بأمور الفلسفة والمنطق، كونه يستند في أساليبه البرهانيّة إلى أساسٍ متين من التعاليم المنطقيّة ومن المعاني الخاصّة بالفلسفة الأُولى، الميتافيزيقيا وهذا ما سنتبيّنه لاحقًا في أمثلة نوردها من **الرسالة في الثالوث المقدّس**.

---

(٥) راجع: لويس شيخو، **علماء النصرانيّة في الإسلام**، سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ» الجزء الخامس، ١٩٨٣، حقّقه وزاد عليه وقدّم له الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، ص ٩٣ (حاشية رقم ٨٥).

(٦) راجع كتاب **التعريفات** للجرجانيّ، مادّة «حكمة»، مكتبة لبنان.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣. هل كان أبو رائطه أسقفًا؟

يقول ج. غراف في مقدّمته لأعمال أبي رائطه إنّ هذا الأخير كان أسقفًا على بلدة تكريت. وقد استند المستشرق الألمانيّ في قوله هذا إلى رأي العالِمَيْن القبطيَّيْن أبي إسحٰق بن العسّال وأبي البركات ابن كَبَر (من القرن الرابع عشر)، اللذين ربطا بين شخصيّة أبي رائطه وأعماله اللاهوتيّة وأسقفيّته على تكريت(٧)، وهما يستشهدان بما أورده كتاب **اعتراف الآباء** الموضوع بعد سنة ١٠٧٨. وتقول إحدى المخطوطات التي نقلها ابن العسّال إنّ أبا رائطه كان أسقفًا على نصيبين. فما هي حقيقة الأمر في هذا الموضوع؟

يجيب البطريرك إغناطيوس أفرام برصوم في كتابه **اللؤلؤ المنثور** عن هذا السؤال فيقول: «إنَّ العالِمَيْن القبطيَّيْن أخطآ لمّا نسبا أسقفيّة تكريت لحبيب بن خدمة أبي رائطه، وكذلك فعل أولئك الذين استشهدوا بكلامهما»(٨). ويضيف الأب جان - موريس فييه في مقالة عن الموضوع «إنَّ الخطأ يعود إلى أبعد من ابن العسَّال وابن كَبَر، إذ إنّ كتاب **اعتراف الآباء**، وهو مجموعة من المقالات اللاهوتيّة لا يُعرَف اسم كاتبها، ووضعت بعد سنة ١٠٧٨، يورد اسم حبيب بن خدمه أسقفًا على تكريت، لكنّ المجموعة نفسها تشير إلى القدّيس أفرام الأسقف أيضًا على تكريت»(٩).

وبالعودة إلى كتابات أبي رائطه، فإنّها لا تورد أيّ إشارة واضحة إلى أسقفيّته على تكريت أو أيّ مدينة أخرى. لكنّ اهتمامه

---

(٧) راجع:

G. Graf, *CSCO*, vol 130 tome 14 p. II (Einleitung) et *GCAL* II (1947), p. 222-226.

(٨) **اللؤلؤ المنثور**، الطبعة الثانية، حلب، ١٩٥٦ ص ٤١٣-٤١٤.

(٩) راجع جان-موريس فييه، في مداخلة تحت عنوان «حبيب أبو رائطه لم يكن أسيقفًا»، ألقيت في مؤتمر التراث العربيّ المسيحيّ، غروننغن، سنة ١٩٨٤.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الواسع والعميق بالشأن اللاهوتيّ العقيديّ والدعوة الموجّهة إليه لمجادلة تاوذورس أبي قرّه، ووضعه الرسائل والمقالات في موضوع هو من اختصاص رجال الدين تقليديًّا، هي أمور تشير إلى أنّ أبا رائطه كان يحمل صفة تمثيليّة لكنيسته في الدفاع عن عقيدتها. فابن أخيه إليان الذي كان على درجة واسعة من المعارف الدينيّة واللاهوتيّة كان يحمل درجة الشمّاسيَّة. فهل كان أبو رائطه يحمل الدرجة نفسها في كنيسته؟ في أيّ حال، لا شيء يثبت بصورة واضحة أنّ كاتبنا كان أسقفًا على مدينة تكريت أو نصيبين. والملاحظة التي يوردها ميخائيل السريانيّ في تاريخه حول مشاركة أبي رائطه في سينودس رأس عينا، لا تشير إلى منصب تبوّأه، بل يحصر حضوره بتوجيهه الاتّهام، مع قريبه إليان، إلى فيلوكسينوس، أسقف نصيبين. أمّا لائحة أساقفة تكريت، فإنّها لا تشير من بعيد أو من قريب إلى أبي رائطه الأسقف على هذه المدينة.

ويمكن في هذا الإطار إثبات عدم أسقفيّة أبي رائطه من خلال مقارنة بين تاريخَي ديونيسيوس التلمحري وميخائيل السريانيّ: فالمعلومات المتعلّقة بالحقبة التي عاش في أثنائها أبو رائطه نقلها ميخائيل السرياني عن الأجزاء المفقودة من **تاريخ ديونيسيوس**، وهو معاصر لأبي رائطه. فلو كان أبو رائطه أسقفًا لأشار التلمحري إلى ذلك من دون تردّد، كما أشار إلى غيره من الأساقفة والمسؤولين أصحاب المناصب. ولكان ميخائيل السريانيّ، المعروف بدقّته في كتابة التاريخ، قد نقل ذلك من دون مواربة. وهكذا يكون أبو رائطه ذلك «الفيلسوف المنطقيّ» المجادل المتبحّر في علوم الدين والمدافع أشدّ الدفاع عن عقيدته وإيمانه، في عصر كانت فيه الكنائس قد بدأت تعاني وبدأ فيه المتقدّمون في العلم والعقيدة يفكّرون ويكتبون بلغة أصحاب السلطة السياسيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٤ . أبو رائطه «الأسير المعوز»

في مستهلّ الرسالة **في الثالوث المقدّس**، يحدّث أبو رائطه قارئه عن وضعه المعيشيّ، فيورد جملةً من الأسباب تمنعه عن الخوض في الموضوع الذي طُلب إليه مناقشته: «ثمّ مَنْ قد لحقه من المَوْنِ والكَلَفِ في أمرِ معاشه الدنياويّ، ما لا سبيل إلى إشخاص رويّته وإرسال أشراط ذهنه في البغية ليحترس من الخطأ والغلط» (رر٩)[١٠]. من هذا التصريح، نفهم أن أبا رائطه يعاني صعوبة في الحصول على قوته اليوميّ، ممّا لا يتيح له أن ينصرف إلى معالجة السؤال المطروح عليه. وهذا الأمر يترك الأثر السلبيّ على مقدرة كاتبنا في التفكير والكلام.

ويضيف أبو رائطه في المكان نفسه: «أمّا الثالثة (أي العلّة الثالثة في محاذرته الكلام) (ف) هي التي تُفسِخ الشهوة، وتَرْدَعُ عن التكلّف بشيءٍ من هذه الأمور الواضعة الزمام والرباط على شَفَتَي حذاري لسفه سفيههم، وشغب أهل الباطل منهم، وتطاولهم وافتخارهم، وإعجابهم بما أوتوا من القدرة والسلطان، فلا يأمن مُخَالِطهم أن يورّطوه فيما لا خلاص منه ولا منجى، إلاّ بعون الله وعصمته».

في هذا النصّ يقول أبو رائطه إنّه في وضع يصعب معه الخوض في الموضوعات الحسّاسة بصراحة وسهولة. فكيف يستطيع الحديث عن قضايا الإيمان، والحدّ الأدنى من الحرّيّة بحسب رأيه، غير متوفِّر بسبب تطاول الخصم وافتخاره وإعجابه بما أُوتي من القدرة والسلطان؟ فعدم توفّر ما هو أساسيّ للحوار والمناقشة يعني أنّ كاتبنا، الذي يعيش في مطلع القرن التاسع ميلاديّ، متخوّف ممّا سيحصل له إذا كتب وعبَّر عن رأيه. وأمام هذه الحالة، يقع أبو رائطه

(١٠) نشير إلى «الرسالة في الثالوث المقدَّس» بالرمز رر، عندما نستشهد بها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في الحيرة والتيهان: «إلتبسَ عليَّ ذهني وانتشرت أركان حيلي، وَتِهْتُ المذهبَ وتحيّرتُ، وصرتُ مُؤَامرَ نفسي التقدّم على ذلك والتخوّف ممّا ذكرتُ أو أُهملُهُ».

هذه الأسطر وغيرها تدلّنا على بعض ملامح من الحالة النفسيّة التي كان يعيشها أبو رائطه وهو يستعدُّ لكتابة رسالته الدفاعيّة **في الثالوث المقدّس**. هو عارفٌ أنَّ ما يكتبه سيوقعه في الشدّة وسيسبّب له الاضطهادات. ولا بدّ هنا من الربط بين تخوّف أبي رائطه في تصريحه ببداية **الرسالة في الثالوث المقدَّس** وما كتبه إلى البطريق الأرمنيّ أشوط بن سنباط: «ألقاني كتابك أيّها الفاضل مكتَبَلًا مأسورًا، محولًا بيني وبين المسارعة إلى أمرك والتحرّك إليك». ألا تعني هذه الكلمات أنّ كاتبنا كان أسيرًا مسجونًا، أو أنّه كان يتخوّف من ذلك المصير؟

٥. المتواضع والعالم

ما يلفت النظر أيضًا في شخصيّة أبي رائطه هو جمعها بين التواضع والمعرفة العلميّة. فهو يعترف أمام مراسله في بداية **الرسالة في الثالوث المقدّس** بعجزه عن القيام بمهمّة معالجة موضوع شائك مثل موضوع التثليث والتوحيد، لأنّ في الأمر عسرًا وصعوبة: «لقد سألتَ من ذلك أمرًا فيه بعض العُسر والصعوبة، لا يعين عليه إلاّ الله له المجد دائمًا، وذلك لخِلال أنا آتٍ على ذكرها إن شاء الله. فأوَّلُ ذلك مَن كان في مثل حالي، ممَّن قد بَلَغَ عليه الغيّ وبروز الكلام، وقلّة الاشتمال له والحضور لأهله، فلا شيء أولى به من الكفِّ عمّا لا طاقة له به ولا نهوض» (رر ٨). وفي مكان آخر، يتكلّم أبو رائطه على نفسه فيصفها بـ«الخساسة والضعف» أمام المهمّات الملقاة على عاتقه في محاورة أهل الكلام من أمثال ثاوذورس أبي قرّه وغيره.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لكن قراءة كتابات أبي رائطه بتعمّق ومقارنتها بمؤلّفات معاصرة له تبيّنان أنّ الرجل كان ركنًا من أركان الكلام في أيّامه[١١]. فهو يعالج بحنكة المنطقيّ ومعرفة المتكلّم قضايا لاهوتيّة معقّدة، فيضع مقاييس البرهان على الدين الصحيح، ويُبارز خصومه في الموضوعات الشائكة مستندًا إلى فهم الكتاب المقدَّس بعمق والقرآن واطّلاع على حجج الخصام، ومعتمدًا على آباء الكنيسة أمثال: «أغريغوريوس أسقف نيسيس» و«أغريغوريوس ذو النطق الإلٰهيّ» و«أغريغوريوس ذو العجائب» و«أفرام السريانيّ» و«ديوناسيوس» وغيرهم من الآباء[١٢]. وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ أبا رائطه عاش، كمعاصريه أبي قرّه وعمّار البصريّ، في مرحلة مهمَّة من حياة الكنائس الشرقيّة؛ مرحلة تكوّنت فيها المصطلحات الفلسفيَّة والتعابير اللاهوتيَّة باللغة العربيّة. وقد قام المسيحيّون في تلك الحقبة بدور رئيسيّ، إذ كانوا على رأس المترجمين والنقلة من اليونانيّة والسريانيّة إلى العربيّة، وانبرى عددٌ منهم للدفاع عن عقيدة ديانته باللغة التي أصبحت أداة الاتّصال الثقافيّ، وقد دخلت بلدان الشرق ومدنه مع أصحاب الفتح السياسيّ العسكريّ آنذاك. وللدلالة على علم أبي رائطه وثقافته، نشير إلى أنَّه استخدم عددًا وافرًا من المصطلحات والتعابير المنطقيّة والفلسفيّة ممّا يؤكِّد أنَّ كاتبنا له ما يكفي من الخبرة والاختصاص في هذا المجال. لقد أتى على ذكر التعابير المختلفة: «ماهيّة»، و«كَوْن» و«علّة» و«قَبْليّة» و«بعديّة» و«جوهريّة» و«هيولى» و«جنس»... ولأنَّ الكاتب عالج مسائل لاهوتيّة، فهو استخدم مصطلحات لاهوتيّة لشرح عقيدته، كتعابير: «اتّصال» و«إضافة» و«أسر» و«مفرد» و«امتزاج» لدى الحديث عن

(١١) G. Graf, *CSCO*, vol. 130, p. 65.

(١٢) أوردنا هذه الأسماء كما جاءت في نصوص أبي رائطه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

علاقة الأقنوم الإلٰهيّ بالآخر. أمّا مفردات «ذات» و«أَبَويَّة» و«انبثاق» و«خاصّة» وغيرها، فإنّها تدلّ على قدرة أبي رائطه التجريديّة.

٦. أبو رائطه المتكلّم

في بداية **الرسالة في الثالوث المقدّس**، يرسم أبو رائطه الإطار الذي ستجري فيه مناقشة موضوع التوحيد والتثليث مع خصمه الذي يرفض هذا التصوّر. أمّا النوع الأدبيّ الذي يعتمده أبو رائطه، فهو الرسالة - والنوع كان معروفًا في زمانه -، في حين أنّ الإطار العلميّ الذي يضعه منهجًا للتعبير بمنطق وحجّة عن قصده، فهو علم الكلام، وقد خاض غماره المسيحيّون في العصر الوسيط دفاعًا عن عقيدتهم[١٣]. وأبو رائطه يتحدّث صراحة في رسالته عن أنّ مناظرة خصومه هي مناظرة كلاميّة، إذ هو يرجو محاوره «أن يكون منصفًا في الكلام أي المحاورة» مشيرًا إلى أنّه ومحاوره «في الكلام سواء»، أي إنَّ النظر العقليّ سيكون المنهج المشترك بين الاثنين وإنَّ العقل لا بدّ من أن يقود إلى طريق الحقّ (رر ٢٠). وهكذا يبرز أبو رائطه متكلّمًا مسيحيًّا، يناظر ويساجل في موضوعات عقيديَّة هي من الأهمّيّة بمكان.

يبقى السؤال التالي: مَن هو محاوز أبي رائطه في قضيّة التوحيد والتثليث؟ لا شكّ في أن المحاور هو من المسلمين الذين يشكّكون في عقيدة الثالوث الأقدس عند المسيحيّين. وأبو رائطه يشير إلى

---

(١٣) راجع:

Wolfson (H.A.), *The Philosophy of Kalām*, Harvard, 1976 pp. 80-82.

راجع أيضًا:

S. DACCACHE, «Polémique, logique et éloboration théologique chez Abū Rā'ita al-Takrītī», *Annales de la Faculté des Lettres et des Sciences humaines*, Université Saint-Joseph, Philosophie, vol. 6-1985, pp. 33-88.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

محاوريه بأنّهم من أهل التَيْمَن (رر ١٦)، أي أهل الجنوب، ولا يُطلق عليهم اسمٌ آخر في مقالته. لكن من المعروف أنّ غالبيّة مفكّري الإسلام في تلك الحقبة كانوا من مذهب الاعتزال، وكانوا يعتمدون النظر والتفكّر أساسًا لكلامهم وجدالهم. ويمكن القول، في هذا المجال، إنّ محاور أبي رائطه هو من المعتزلة، إذا أخذنا في الاعتبار أنّ أبا رائطه يعتمد هو أيضًا - وهذا ما نشرحه لاحقًا - النظر العقليّ مقياسًا ونهجًا في شرحه ودفاعه. والواضح أيضًا أنّ هناك عناصر أخرى تتضمّنها الرسالة تؤكّد لنا أنّ المحاوِر هو من فئة أهل الاعتزال.

ولنا في مقدّمة أحد النصوص المنسوبة إلى أبي رائطه إشارة إلى محاورة كاتبنا المعتزلة[١٤]. تقول هذه المقدّمة: «سأل بعض المعتزلة الأب أبا رائطه حبيب بن حديثه التكريتيّ، اليعقوبيّ السريانيّ، أسقف تكريت (من كرسيّ سروج)، أن يوضح له دين النصرانيّة، من حيث يقبله العقل». وتوضح مخطوطة أخرى للنصّ نفسه اسم المعتزليّ المشار إليه سابقًا على الشكل التالي: «جواب أبي رائطه التكريتيّ، أسقف نصيبين، لثمامه المعتزليّ، عند سأله عن الدليل على صحّة النصرانيّة»[١٥]. ومن المعلوم أنّ ثمامة (ت ٨٢٨م) هو من كبار المعتزلة وينتمي إلى الطبقة السابعة من معتزلي بغداد، وأنّه قال: «إنّ اسم الكافر ينطبق على النصارى واليهود، والكافر هو العارف بما أُمر به ونُهي عنه، وأولئك عارفون بما أمروا به ونهوا عنه»[١٦].

(١٤) راجع سمير خليل، نشرة كتاب **مصباح الظلمة** لأبي البركات، المعروف بابن كبر ط، القاهرة، ١٩٧١ ص ١٨-١٩.

(١٥) راجع **مخطوطة سباط ١٠١٧**، القاهرة، ص ١٤.

(١٦) راجع كتاب **الانتصار** لأبي حسين الخيّاط، نشرة ألبير نادر، دار المشرق، ١٩٥٧، ص ٦٦.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولنا في هذا المجال شهادة قيّمة من الإمام ابن حزم الظاهريّ (ت ١٠٦٤) الذي يورد لدى نقضه مقولات المعتزلة في «اللُطف والأصلح»، في موسوعته **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِحَل** اسم «أبي رائطه اليعقوبيّ النصرانيّ» واحدًا من المتعمّقين في الكلام من بين النصارى واليهود والمجوس والمنانيّة والدهريّة، وذلك في موضعين من مقالته[١٧]. ففي الموضع الأوّل وفي إطار الجواب عن مقولة بعض المعتزلة في ما يمتلكه الله من ألطاف خفيّة يهبها إلى الكفّار لو شاءَ، يقول ابن حزم: «يستطيع أن يضلَّ مَن شاء بواسطة آخرين كما فعل بحبيش اليهوديّ وأبي رائطه اليعقوبيّ النصرانيّ والمتحقّقين بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانيَّة والدهريّة». وفي فقرة ثانية في الموضوع نفسه يقول ابن حزم إنّ مَن «يؤتي المعتزلة القوّة والتدقيق في الفهم هم بعض متكلّمي اليهود» وكذلك «أبو رائطه اليهوديّ ومقرونيش الملكيّ من متكلّمي النصارى». وفي ذلك إشارة واضحة إلى مكانة أبي رائطه بين متكلّمي النصارى ومحاوراته الشهيرة مع متكلّمي المسلمين.

تفيد عبارات ابن حزم هذه أنّ أبا رائطه هو من المتكلّمين الذين مارسوا تأثيرًا فكريًّا مهمًّا في المتكلّمين المسلمين ولا سيّما المعتزلة منهم. فأبو رائطه وغيره من المتكلّمين عمدوا إلى تضليل المعتزلة الذين أخذوا في مقولة الأصلح - أي إنَّ الله لا يفعل إلاّ ما هو الأصلح للبشر - عن المتكلّمين النصارى وغيرهم من المتكلّمين.

---

(١٧) إبن حزم الظاهريّ، **الفِصَل في الملل والنحل**، الجزء الثالث، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٠٧.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثاني

مؤلَّفات أبي رائطه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تحتوي مؤلَّفات أبي رائطه الكاملة والمعروفة على إحدى عشرة وثيقة مختلفة نشرها لأوّل مرّة العام ١٩٥١ جورج غراف، الاختصاصيّ المعروف بالتراث المسيحيّ العربيّ، مع ترجمة لها باللغة الألمانيّة[١]. أمّا المخطوطات المختلفة المعتمدة في نشرة غراف، فمن الممكن الاطّلاع على مصادرها في مقدّمة الترجمة الألمانيّة، وكذلك في **تاريخ الآداب العربيّة المسيحيّة** الذي نشره غراف عينه.

أمّا ما يهمّنا من عرض مؤلَّفات أبي رائطه في سياق هذا البحث هو إظهار نوعيّتها الأدبيّة، وسبب تأليفها، ورسم بعض ملامح مضمونها:

١ - من المخطوطات التي نشرها غراف والتي ينسبها المؤرّخون إلى أبي رائطه، هناك رسالتان تؤلِّفان وحدة أدبيّة متكاملة: الرسالة الأولى، التي هي موضوع بحثنا في هذا الكتاب، تعالج موضوع «التوحيد والتثليث» من زاوية عقلانيّة منطقيّة في مرحلة أولى أساسيّة، ثمّ من زاوية كتابيّة، في إطار محاورة متكلّم من أهل التَيْمَن. والرسالة هي جواب عن طلب تقدّم به أحدهم من أبي رائطه لكي يوضح ما أُشْكِل عليه «من أقاويل الأمم وادّعائهم الصواب لما في أيديهم ولا سيّما قول أهل التيمن ووصفهم فضل دينهم وشرفه واعتلائه على سائر الأديان»، ولكي يشرح له «مع

(١) راجع، Georg Graf, *Die Schriften des Jacobiten Ḥabib Ibn Ḥidma Abū Rā'ita*, CSCO, vols 130 et 131, Louvain 1957

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك إقرار أهل الحقّ ومحبّتهم وما أتوا به من الحكمة والبرهان»، وأن يتمّ ذلك تحت هيئة السؤال والجواب (رر ٦). والواضح أنّ أبا رائطه يبدأ في هذه الرسالة بشرح العقيدة المسيحيّة في الثالوث المقدّس، ثمّ يعالج موضوع التجسّد في رسالة ثانية، ليست في الحقيقة إلاّ القسم الثاني من الموضوع الذي طُلِبَ إلى أبي رائطه أن يعرضه. وجدير بالذكر أن الرسالة الثانية تبدأ بتلخيص الرسالة الأولى على الشكل التالي: «كان القول جرى في صدر هذا الكتاب إلى هذا الموضع في صفة الله له الحمد ونعت توحيده وتثليثه وتفسير الأقانيم واتّفاقها وتمييز قوام ذات كلّ واحد منها واختلاف خواصّها وذلك بإيضاح وشرح بمقاييس صحيحة صادقة وحجج غزيرة ثابتة وبيّنات نيّرة مضيئة لمَن كان الحقّ مريدًا وإيّاه طالبًا». ويضيف مدخل الرسالة: «ولم نذكر من أمر تجسّد أحد الأقانيم وهو الابن كلمة الآب الأزليّة وصيرورته إنسانًا بلا تغيير عن حاله أو تبدّل عن جوهره ولترك مساءلتكم إيّانا في هذا الوجه».[٢] وهكذا يبدو أنّ هدف الرسالتين هو واحد، والمحاور هو نفسه، وكذلك سائل أبي رائطه معالجة الموضوع الذي قسّمه المؤلِّف إلى قسمين، رأى فيهما المهتمّون بالتراث المسيحيّ العربيّ رسالتين: الأولى في الثالوث المقدّس والثانية في أمر التجسّد.

ويمكن الإضافة إلى هذه الرسالة، رسالة أخرى في «إثبات دين النصرانيّة وإثبات الثالوث المقدّس وأمر التجسّد»، وهي الجزء الثامن في نشرة ج. غراف وقد استهلّها أبو رائطه بتلخيص موضوعها على الشكل التالي: «سألتَ، ألحقك الله بالفائدة، أن أشرح لك الحالة التي دعت العاقل والجاهل إلى قبول دين النصرانيّة بدءًا.

(٢) راجع. G. Graf, *CSCO*, vol 130, p. 25

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وامتناعهما أخيرًا»[٣]. وأمّا قراءة الرسالة فتبيّن لنا أنّها تنقسم إلى ثمانية أقسام هي: مقاييس قبول الدين ورفضه، الثالوث المقدّس، التجسّد والتأنّس، تعظيم الصليب، استقبال المشرق في الصلاة، القربان المقدّس، ترك الختانة والذبائح، العهد الجديد. ويتّبع أبو رائطه في هذه الرسالة، كما في سابقتيها، النظر العقلانيّ منهجًا في بحثه مع إفراده فصلًا خاصًّا في شهادات الكتب المقدّسة.

أمّا المؤلَّف الرابع الذي يجب ضمّه إلى هذه المجموعة، فهو كتاب صغير من صفحة واحدة هو كناية عن قياس جدليّ، يثبت فيه صحّة النصرانيّة لأنّ العقلاء والجهّال قبلوها بالآيات لا بالسيف.

٢ - من جدال أبي رائطه مع النساطرة والملكيّين الخلقيدونيّين، هناك أربعة مؤلَّفات: الأوّل، كتبه أبو رائطه لكي يُلْقى على مسامع الأمير الأرمنيّ أشوط سنباط مساكر الذي أرسل في طلب أبي رائطه لمناقشة ثاوذورس أبي قرّه الملكيّ في موضوع الطبيعتين والاتّحاد. أمّا المؤلَّف الثاني، فهو قد أُرسِل أيضًا إلى الأمير الأرمنيّ نفسه وقد عرض فيه أبو رائطه رأيه في موضوع «التقديسات الثلاثة»، مناقشًا بذلك موقف أبي قرّه الملكيّ. وقد كتب أبو رائطه مؤلَّفًا ثانيًا في موضوع التقديسات.

أمّا المؤلَّف الرابع الذي ينتمي إلى هذه المجموعة، فهو يشرح أمر الاتّفاق والاختلاف في الجوهر والأقانيم، ويناقش موقف الملكيّين بحيث يدافع عن اعتقاد الكيسة اليعقوبيّة في مطابقتها بين الجوهر والأقانيم. وهناك رسالة أخرى في الموضوع نفسه، نُشرت في مجموعة غراف تحت عنوان: «من الرسالة الثالثة لأبي رائطه في الردّ على الملكيّة في الاتّحاد».

---

(٣) راجع .G. Graf, *CSCO*, vol 130, p. 131

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣ - أمّا المؤلّفات الثلاثة الباقية فهي كناية عن صفحات قليلة في موضوعات متفرّقة. يتضمّن الأوّل شهادات من الكتاب المقدّس في التوحيد والتثليث، والثاني هو مختصر في سرّ المسيح، والثالث هو مختصر مناقشة جرت عند أحد الوزراء بين أبي رائطه وأبي قرّه وعبد يشوع النسطوريّ تناولوا فيها موضوع الاتّحاد والتجسّد.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثالث

«الرسالة الأولى في الثالوث المقدَّس»
تصميم وتحليل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يشكّل نشر الرسالة الأولى[١] الجزء الأساسيّ من هذا الكتاب. فهي تتصدّر مجموعة أعمال أبي رائطه، وتعدُّ وثيقةً فريدة من نوعها وصلتنا من جيل الكنيسة الأوّل الذي انبرى للإجابة بلغة عربيَّة عن الكثير من الأسئلة والآراء والتعليلات التي طرحها مفكّرو الإسلام الأوائل وجلّهم من المعتزلة حول بعض الحقائق الأساسية التي يجتمع حولها كلّ النصارى، ومنها التوحيد من ضمن تثليث الألوهة، تجسُّد الابن، والفداء والصلب والقيامة... فالدين الجديد رأى في عقيدة التثليث، وهي في جوهر الإيمان المسيحيّ، محاولةً إنسانيّة لإدخال الشِرك في وحدانيّة الله ولتقليص قدرته العزيزة، في وقت شجب فيه عقيدة تجسّد الابن - الكلمة، مشيرًا إلى أنّ في اتّخاذ الله جسدًا له، يجعله تحت حكم التجزئة، لأنّ الجسد صورةٌ لما هو متجزِّئ[٢].

أمام الواقع المستجدّ هذا، برزت محاولات ذات طابع منطقيّ عقلانيّ، لدرء الخطر المحدِق بعقائد المسيحيّة الجوهريّة وتبيان صحّة مقولاتها، والدلالة على إمكانيّة الاختلاف الجذريّ في ما يقول به الإسلام وما تنادي به المسيحيّة. ورسالة أبي رائطه هي من بين تلك المحاولات الأولى التي تمّ وضعها بهدف عرض عقيدة التثليث لدى المسيحيّين والردّ على منتقديها. ولا شكّ في أنّ هذه الرسالة تركت الأثر البليغ في الأدب الكلاميّ المسيحيّ، إذ خلّفت

(١) راجع .G. Graf, *Idem*, pp. 1-26

(٢) راجع .Louis Gardet, *L'Islam*, 113, 1982 p. 400

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وراءها رسائل ومقالات وميامر نهجت النهج عينه في الدفاع عن صحّة عقيدة الثالوث المقدّس[٣]. وقد رأى فيها بعض اللاحقين مادّةً جيّدة لمخاطبة الفريق الآخر، فاقتبسوا ونقلوا أجزاء منها، على مثال الكنديّ في ردّه على أبي إسماعيل الهاشميّ[٤]، وبولس البوشيّ[٥] في عرضه مضامين الدين المسيحيّ.

ولمّا كان أبو رائطه قد عُرِف بـ«الفيلسوف والمنطقيّ» كما أسلفنا سابقًا، فلا بدّ من أن يكون فكره مبنيًّا على المنطق الذي يظهر في سياق الرسالة الأولى «في الثالوث المقدّس»، ونهجها وطريقة أبي رائطه في عرض الآراء وتحليل المواقف من الموضوع الذي يعالجه.

فأبو رائطه يُفرد الحيِّز الواسع البارز في رسالته لما يقوله الخصم، فيثبت رأي الآخر ومضمون كلامه وعقيدته، وكذلك مأخذه على مقولة مَن يغايره في العقيدة. وكاتبنا يذكر في سياق عرضه وتحليله المعاني الممكنة أو المحتملة للفظ أو مفهوم معيّن، فيثبت استحالة جميعها ما عدا معنى واحداً، ثمّ يقوم بإثباته منطقيًّا. والنصّ الذي نعالجه يزخر بالعبارات المنطقيّة على مختلف أنواعها: «وإمّا... وإمّا...»، «بل يجب علينا...»، «فإن يكن... فـ...»، «فإن قلتم... فقد... فنقول...»، «ودليل ذلك...»، «فهذا... إذًا...». وهذه التعابير ليست سوى أمثلة للدلالة على أسلوب أبي رائطه المنطقيّ في إطار المحاورة، ذات النهج السقراطيّ اليونانيّ.

(٣) راجع Rachid HADDAD, *La Trinité Divine chez les théologiens arabes*, (750-1050), Beauschesne Religions, 1985.

(٤) رسالة عبدالله بن إسمعيل الهاشميّ إلى عبد المسيح بن إسحق الكنديّ ورسالة الكنديّ إلى الهاشميّ. والرسالتان منشورتان في طبعات شعبيّة.

(٥) بولس البوشيّ، **مقالة في التثليث والتجسّد وصحّة المسيحيّة**، سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ»، الجزء الرابع، بيروت، ١٩٨٣.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وما يلفت النظر في أسلوب أبي رائطه هو عرضه، في بداية الرسالة، ما يلزم من شروط للتحاور بين فريقين، حتّى يأتي الجدال متوازنًا عميقًا، يضفي على نتيجة التحاور الطابع العلميّ. فأبو رائطه يشدّد على دور ما يمكن تسميته بالقاعدة المشتركة بين فريقي المحاورة، وهما يشتركان في امتلاكها وكذلك في حقّ استخدامها المنطقيّ. وهذه القاعدة هي الكلام، كقدرة عقلانيّة متوفّرة لدى الفريقين. والكلام هو البحث المنطقيّ في وجود الله الخالق المدبّر وصفاته، وفي توحيده وتثليثه، وهو بحث جدليّ له أصوله ومقوّماته. فعندما يقول أبو رائطه لخصمه: «نحن وأنتم في الكلام سواء» (رر٢٠)، فإنّما يشير إلى تلك الملكة التي هي بحوزة الإنسان، كلّ إنسان، بحيث يُخضع لها جميع الأسئلة الصعبة، بهدف معالجتها والإجابة عنها. وهو يشير أيضًا إلى أنّ العقل هو وسيط فعّال، عمليّ، يُحرِّك جهد الإنسان نحو غاية محدّدة، وهو أيضًا وسيط نظريّ يرى الأمور من مختلف نواحيها وأبعادها. والكلام هو، في هذا السياق، الوحي المُنْزَل.

وفي ما يلي نعرض تصميم الرسالة العامّ، وقد أرفقنا عناوين المقاطع بالأرقام التي وضعناها لها. وبعد ذلك نعرض النقاط الرئيسيّة الواردة في الرسالة في سياق تحليلها.

أولًا: التصميم العامّ

المقدّمة (١-١٥)

(١) ديباجة المؤلّف (١-٤)

(٢) سبب تأليف الكتاب (٥-٦)

(٣) تردّد أبي رائطه في تأليف الكتاب (٧-١٢)

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الأوّل:

الفصل الثاني:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثالث:

ثانيًا: تحليل المضمون

أ - الشروط الصحيحة للمحاورة الجدليّة

لا يبدو أنّ الشروط التي يقترحها أبو رائطه، في مستهلّ رسالته، هي جديدة في مضمونها وعبارتها. لكنّ كاتبنا يدخلها في إطار مُستحدَث، هوْ إطار التحاور بين المسلم من ناحية والمسيحيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من ناحية أخرى في نهاية القرن الثامن أو بداية القرن التاسع[٦]. ومن الواضح أنّ أبا رائطه هو الأوّل بين المتكلّمين المسيحيّين، الذي أفرد في صدر مقالةٍ مجموعة من الأفكار والقواعد التي تصلح لأن تؤلِّف نظامًا متكاملًا في آداب الحوار وشروطه. وهذا النهج يُعدُّ فريدًا من نوعه، إذ إنّ اللاحقين من المتكلّمين المسيحيّين، أمثال يحيى بن عديّ، وإيليّا النصيبيّ والبطريرك تيموتاوس الأوّل لم يذكروا إلاّ بشكل جانبيّ، قواعد محاورة الطرف الآخر.

من الممكن تلخيص قواعد الحوار بحسب ما يعرضها أبو رائطه في النقاط التالية:

- من المستحسن أن يطرح موضوع المناقشة في شكل «قضيّة» (protasis)، أي كما يقول الشيخ الرئيس كـ«قولٍ، فيه نسبة بين شيئين بحيث يتبعه حكم صدقٍ أو كذبٍ»[٧]، فلا يأتي القول إلزامًا أو إثباتًا ينقض مبدئيًّا كلّ قول آخر، بل يأتي قولًا يُدفعُ به إلى الموازنة والمناقشة. في هذا الصدد، يضع أبو رائطه جانبًا هذا النوع من الإثبات: «إنّ قولنا هو الحقّ...، ومن اتّبع غيره فهو من الخاسرين» (رر ١٧)، بل يرجو محاوْره أن يدخل في سياق الحوار «لكي تكون قضيّتكم علينا بعلم ومعرفة» (رر ٢٠).
- من الواجب القبول بمبدأ الحوار بين الفَريقين بهدف الوصول إلى نتيجة مرضية: «أيّها القوم، إنّما دعاءَنا إلى محاورتكم» (رر ١٩). والحوار يتطلّب من الفريقين جهداً عقليًّا جدليًّا هو المناظرة، وفحصًا شافيًا لنواحي القضيّة المعروضة للبحث، وذلك «برأي أصيل لا يميل به هوىً عن قضاء السبيل» (رر ٢٣).

(٦) من البارزين في هذا المضمار، يوحنّا الدمشقيّ (٦٧٥-٧٤٩) في محاوراته وقد كان الرائد في هذا المجال.

(٧) الحسين أبي علي بن سينا، **كتاب النجاة**، تحقيق ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٠.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

- لا يكفي بالامتناع عن قبول حجّة الخصم لكي تُبطَل تلك الحجّة وتندثر (رر ٢٢)، بل «يجب على أهل الحقّ ألاّ يردّوا صوابًا، ولا يجحدوه في يد مَن كان، بل يقبلوه أشدَّ القبول مع جميل الثناء وحسن القول على أهله» (رر ٢١).
- من واجب المسيحيّين والمسلمين المشتركين في المناظرة إنصاف بعضهم بعضًا، وأن يعدّوا أنفسهم مشتركين في ملكيّة بضاعة واحدة. فالكلام، لجهة كونه يشير إلى القدرة العقليّة في البحث والمحاورة، هو ملك مشترك؛ والكلام، لجهة كونه يدلُّ على الوحي المُنزَل، هو ميراث مشترك «رجاءً أن تفاصلونا منه مفاصلة الإخوة المشتركين في بضاعة توارثوها عن أبيهم، وكلّهم فيها مشتركون ليس لبعضهم فيها شيءٌ دون بعض» (رر ١٩).
- لا شكّ في أنّ للعلاقات الإنسانيّة أهمّيّة قصوى في دفع الحوار نحو مقاربة الحقيقة، إذ إنّ ما يحدّد الجدل هو البنية العقلانيّة المنطقيّة من ناحية، والعلاقة الإنسانيّة القائمة على الاحترام المتبادل بين الفريقين المتحاورين من ناحية أخرى. فلهذا السبب، يدعو أبو رائطه إلى حوار بين «إخوة مشتركين في بضاعة واحدة توارثوها عن أبيهم» (رر ١٩).

وهكذا، ضمن هذا الإطار، تبدأ معالجة القضيّة الرئيسيّة التي تتناولها «الرسالة الأولى في الثالوث المقدّس» وما استخرجناه من «رسالة الدفاع عن النصرانيّة» وهي تتركّز حصرًا على لا تناقض في الإثبات «أنّ الله يوصف مع وحدانيّته بالتثليث» (رر ٢٢)، وأنّ موافقة الطرفين على «أنّ الله هو واحد» يشوبها الالتباس والغموض، لأنّ المبدأ اللفظيّ، وإن كان مشتركًا، لا يكفي لجعل الطرفين موافقين على التفاصيل: فصفة فريق لهذه الوحدانيّة تخالف صفة الفريق الآخر لها (رر ٢٥).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولأنّ القضيّة يشوبها الالتباس، فإنّ محاورة الفريق الآخر هي ضروريَّة؛ هذا الفريق الذي يمثّله أهل النظر والتفكّر عند المسلمين، وقد أشار إليه أبو رائطه بقوله: «إنّنا نناجي ذوي العقول والآراء منكم، الراسخين في العلم، الداخلين في الأمور، لا المسبّحين الذين إذا وردت عليهم مسألة غامضة بلُطفٍ، عجزوا عن الإجابة فيها، ولم يكن لهم من جواب غير سبحان الله، نعم سبحان الله حتّى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة» (رر ٢٩).

ب - المنهج المنطقيّ الصحيح

إنّ المنهج المنطقيّ لا يقوم على مجرّد إثباتٍ ملزمٍ لقول لا يُناقش ولا يكون موضوع بحثٍ شافٍ. ومن الممكن استعراض المنهج المنطقيّ الخاصّ بالرسالة في الثالوث المقدّس من خلال النقاط التالية:

- يكوّن الجناس أو اللفظ المشترك (homonyme) عقبة رئيسيّة وإشكالًا مردّه إلى أنّه من الممكن الدلالة على أشياء مختلفة باللفظ عينه: «مع أنّنا وإن وافقناكم في مقالتكم، بأنّ الله واحد، فما أبعد ما بين القولين، فيما تظنّون ونصف؛ والشاهد على ما ذكرت، مخالفة صفتهم لوحدانيّته صفتنا إيّاه». (رر ٢٥)، (راجع أيضاً رر ٥١).
- يفترض المدخل الصحيح في الجدل من أهل النظر فحص اللفظ الذي يثير الإشكال من جميع جوانبه بغية الوصول إلى تصوّر تامّ لمعانيه: «لو قد سألناكم عن ذلك، وأجبتمونا: «على كم نحوٍ يوصف الواحد واحدًا»، فإذا أنبأتمونا بذلك، علمنا أنّكم صادقون فيما ادّعيتم» (رر ٢٦)، (راجع أيضاً رر ٥١، ورر ٦٧، ٦٨...).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

- ضرورة نبذ ما يقبّحه العقل وقبول ما يحسِّنه: «كيف تقبل عقولكم هذه الصفة التي تُفضِّل إلٰهكم من سائر خلقه؟ وكيف زعمتم أنّه «ليس كمثله شيءٌ» «ولا يصفه الواصفون»» (رر ٣٦). «أمّا وصفنا إيّاه واحدًا في الجوهر، فلاعتلائه عن جميع خلقه وبريَّته» (رر٤٦).
- إدخال تصوّر لفظٍ معيَّن في قالبٍ قياسيّ شرطيّ؛ نذكر هنا قياسين على سبيل المثل:

(١) «وإن كانت (الأسماء) من جوهره، فذلك على وجهين: إمّا كاملة من كامل، وإمّا أبعاض من كامل، فأمّا الأبعاض فلا يجوز في صفة الله لأنّه معلّى عن ذلك، فإذًا لا محالة أنّها كاملة من كامل» (رر ٦٩).

(٢) «فإن قلتم، في ما وصفتموه به من حيٍّ، عالمٍ، حكيم إنّه إنّما اشتُقَّت له اشتقاقًا، واستوجبها كما استوجب جميع ماً سمّي به مَن أكمل فعلَه لها، فإذ قد يُوصف أنّه قد كان ولا خلق ولا بريَّة حتّى أتى على ذلك بالفعل، هكذا، فليُجز إذًا أن يُقال:
قد كان الله ولا حياة له ولا علم ولا حكمة
حتّى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة،
وهذا مخالف من الكلام أن يكون سبحانه خلوًّا طرفة عين من حياةٍ وعلم» (رر ٥٧-٥٨)

ج - القضيّة الرئيسيّة

إنّ القضيّة الرئيسيّة التي تتناولها «الرسالة الأولى في الثالوث المقدّس» تتركّز حصرًا على أنّ لا تناقض في الإثبات «أنّ الله يوصف مع وحدانيّته بالتثليث» (رر ٢٢)، وأنّ موافقة الطرفين على «أنّ الله هو واحد» هي شديدة النسبيّة لأنّ وصف فريق هذه الوحدانيّة يخالف

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وصف الفريق الآخر (رر ٢٥).

فحول هذه القضيّة، يبدأ التحاور بين أبي رائطه والفريق الآخر الذي يمثّل أهل النظر والتفكُّر عند المسلمين، وقد أشار إليه كاتبنا بقوله: «إنّما نناجي ذوي العقول والآراء منكم، الراسخين في العلم، الداخلين الأمور، لا المسبّحين الذين إذا وردت عليهم مسألة غامضة بلطفٍ، عجزوا عن الإجابة فيها، ولم يكن لهم من جواب غير سبحان الله، نعم سبحان الله حتّى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة» (رر ٢٩).

لا شكّ في أنّ فريق أهل النظر الذي يميِّزه أبو رائطه عن غيره هو فريق أهل الاعتزال أو مَن يمثّله، وقد كان هو المسيطر فكريًّا بما يخصّ عقيدة المسلمين، مع بداية القرن التاسع[٨]. ولنا، إلى جانب هذا الدليل، دليلان يؤكّدان محاورة أبي رائطه المعتزلة: فمعلوم تاريخيًّا أنّ أبا رائطه أجاب عن سؤال طرحه عليه ثمامة المعتزليّ (راجع الفصل الأوّل، القسم السادس: أبو رائطه المتكلّم). ولنا في عرض كاتبنا لقضيّة التوحيد والتثليث في هذه الرسالة، دليل ذو طابع فكريّ: فالمعتزلة كانوا يقولون بأنّ الله هو واحد في العدد، وهذا ما يورده أبو رائطه على لسانهم أيضًا (رر ٣٤)، وكانوا يقولون على حدّ ما أورده الأشعريّ في **مقالات الإسلاميّين**، والقاضي عبد الجبّار في **المغني في أبواب العدل والتوحيد**، والجُبَّائيّ بأنّ الصفات الإلٰهيّة قسمان: صفات الذات وصفات الفعل، وذلك بهدف نفي التشبيه عنه تعالى[٩]. وهذا الأمر يذكره أبو رائطه على لسان محاوره (رر ٦٣). زد على ذلك أنّ الوصف الذي يقدّمه أبو رائطه، بحسب قول أهل

(٨) راجع كتاب **الملل والنحل** للشهرستانيّ، طبعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٨.

(٩) راجع .Daniel GIMARET, *La doctrine d'al-Ash'arī*, Le Cerf, 1990, pp. 280-281

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التيمن، هو قريب جدًّا من الوصف الذي كان يعطيه المعتزلة له تعالى (رر ١٦). من ناحية أخرى، يناقش أبو رائطه محاوره في موضوع تطبيق مبدأ القياس الكينونيّ في قضيّة إثبات التثليث، وهو مبدأ يرفضه المحاور رفضًا أكيدًا. والمعلوم أنّ المعتزلة كانوا يرفضون مبدأ القياس هذا (analogie) لتأكيد نفي الأشباه عن الله (راجع رر ٨٣).

د - أهمّ نقاط العرض اللاهوتيّ

١ - هل الله واحد في العدد، في النوع أم في الجنس؟ في المفهوم الأرسطاطاليّ، «الواحد هو ما كان واحدًا في العدد، أو في النوع، أو في الجنس، أو بحسب القياس». هذا ما يستند إليه أبو رائطه لتوضيح مفهوم الواحد في بداية مقالته، إذ إنّ القول به بحسب هذه المقولات يؤدّي إلى التشبيه، وهذا يناقض إثبات الفريق الآخر أنَّ «لا شيء مثله»، ولا يجوز أن يدخل «التبعيض» و«النقصان» على أيّ وصف لله. ومن المعلوم أنّ أبا عليّ الجُبَّائيّ المعتزليّ (+ ٩١٥) كان يقول بأنّ الله هو واحد في العدد[١٠] ويضيف أبو رائطه: «أمّا وصفنا إيّاه واحدًا في الجوهر، فلاعتلائه عن جميع خلقه وبريَّته»... (رر ٤٦). والجوهر متّصل، غير مفارق (رر ٧٧)، واسم الله هو اسم الجوهر، وهو اسم لا يخضع لما هو للنوع «الذي يعمُّ عددًا شتّى»، وبالتالي لا علاقة لهذا الاسم، من بعيد أو قريب، بما هو للخليقة والمُحْدَثين. أمّا في العدد فيوصف الله بأنّه ثلاثة «لأنّ العدد لا يعدو أن تكون أنواعه نوعين: زوجًا وفردًا. فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلثة أقانيم» (رر ٤٧). لكن هذا الوصف لا يقوم له

(١٠) راجع *Idem*, p. 252.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

قائم في حال لم تكن هذه الثلٰثة «منه» (رر ٦٧) أي من الجوهر:
«فجوهر اللاهوت ثلاثة أقانيم، وثلٰثة أقانيم جوهر اللاهوت، جوهر» (رر ٨٨).

أمّا بما يخصّ العلاقة بين الجوهر (الاسم العامّ) والأقانيم (ذوات قائمة بذاتها) فإنّ أبا رائطه يبدأ بالنظر في تحديد الأسماء من مُفْرَدَة مُرْسَلَة ومضافة منسوبة. تقول الرسالة:

«وأمّا [الأسماء] المأسورة المنسوبة المضافة إلى غيرها،
فكحيّ وعالم وحكيم.
وإن كان الله لم يزل حيًّا، عالمًا،
فالحياة والعلم إذًا أزليّة» (رر ٦٦).

ثم يحدّد أبو رائطه علاقة الصفات بالجوهر:
«فإذ كان هكذا، فلا بدّ من أن توصف:
إمّا مفترقة متباينة لا اتّصال لها،
وإمّا متّصلة مأسورة، لا تباين لها،
وإمّا مأسورة مفترقة، جميعًا معًا» (رر ٧٠).

وبعد أن يثبت أنّه محال أن تكون مفترقة أو متّصلة يتابع قائلًا:
«فإذ هُدمت هاتان الصفتان،
أعني التفريق وحده والاتّصال وحده،
فلا شكّ أنّ الصواب في الصفة الثالثة،
بأنّها متّصلة مفترقة جميعًا معًا» (رر ٧٣).

ويحدّد أبو رائطه وجه الاختلاف ووجه الاتّصال على الشكل التالي:
«إنّما وصفنا أنّه متّفق في الجوهر، مفارق في الأقانيم،
وجوهره هو أقانيمه وأقانيمه هم جوهره،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بمنزلة أضواء ثلثة في بيتٍ واحد» (رر ٧٩)

وبعد أن يشرح هذه العلاقة قياسيًّا، يصل أبو رائطه إلى النتيجة الآتية:

«مخالفة الجوهر الأقنوم الواحد،
كمخالفة شيءٍ عامّ لبعض خواصّه،
لأنّه خالفه بكثرة ضمّه لا بالجوهر» (رر ٨٩)

ويثبت كاتبنا عقلانيًّا عقيدة التثليث فيقول:
«كلٌّ واحدٍ منها يعرف بخاصّيّته،
الآب بأبويّته والابن ببنوّته، والروح بخروجه من الآب» (رر٩٢).
«وليس اختلاف خواصّها بالذي يصير جوهره مختلفًا» (رر٩٣).

فاتّفاق الأقانيم هو في وحدة ماهيّتها ووجودها، أي إنَّ ما يجمع بينها هو جوهر اللاهوت في وحدانيّته. لكن هذه الأقانيم متميِّزة، لأنّ لكلّ واحد منها قوامًا ثابتًا، وهي مختلفة لاختلاف الخاصّة التي تحملها. فالأقنوم هو الخاصّ، لكن الجوهر يتميَّز بكثرة الضمّ.

٢ - **موضوع الصفات الإلٰهيَّة**: إنّ موضوع الصفات الإلٰهيّة هو مركزيّ في بحث أبي رائطه عن ثالوثيّة الله. فالصفات تدلّ على الله ككائن بذاته، أو على طبيعته الخاصّة، أو أحد أفعاله. فبعض الصفات هي دالّة على أفعاله، مثل صفة الخالق، - وهذه الصفات هي صفات الفعل - لأنّه لم يكن بالمستطاع أن يوصف الله خالقًا قبل أن يخلق، في حين أنَّ الحياة والحكمة هما صفتان ذاتيّتان، لأنّ هاتين الصفتين وغيرهما غير مرتبطتين بفعل معيّن، ولأنّ الله عزّ وجلّ كان دومًا حيًّا حكيمًا. وإذا كان أبو رائطه يقول هنا ما يقوله المعتزلة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والأشاعرة بين المسلمين، فإنّ كاتبنا يضيف من جانبه قائلًا:

«وإن كانت أيضًا من جوهره، فذلك على وجهين،
إمّا كامل من كامل،
وإمّا أبعاض من كامل.
فأمّا الأبعاض فلا يجوز في صفة الله لأنّه معلّى عن ذلك،
فإذًا لا محالة أنّها كاملة من كامل». (رر ٦٨-٦٩)

فموضوع الصفات يعيد أبا رائطه إلى حيِّز موضوعه الأساسيّ، الذي هو الثالوث، وخصوصًا عندما يثبت أنّ هذه الصفات التي هي كاملة من كاملة، هي إمّا مفترقة أو مأسورة، أو مفترقة مأسورة. فمن العبث والمحال القول إنّ الواحدة هي متباينة عن الأخرى تباينًا جذريًّا: «فهذا يعني أنّ التباين هو في الجوهر الإلٰهيّ نفسه وهذا من غير المعقول منطقيًّا أو كينونيًّا، لأنّ الافتراق والتباين هما نقض الذات الإلٰهيّة الواحدة». ومن العبث القول أيضًا إنّ الواحدة متّصلة بالأخرى اتّصالًا تامًّا ومأسورة بها، لأنّ هذا يعني أنّها فقدت ذاتيّتها وكمالها وجعلها خاضعة لها. فهذه «صفة أبعاض وأجزاء، لا صفة كامل» (رر ٧٢).

فإذا كان من المستحيل إثبات الافتراق من ناحية والاتّصال من ناحية أخرى، فلا بدّ من إثبات الافتراق والاتّصال معًا. فالاتّصال يكون على مستوى الجوهر والتباين يكون على مستوى الأشخاص أو الأقانيم.

«لأنَّ إنّما وصفناه (أي الله) باتّصال في الجوهر، وتباين في الأشخاص، أي في الأقانيم» (رر ٧٧)

وأمام إنكار المجادل الذي يقول إنّ هذا النوع من الإثبات يجعل الأقانيم مختلفة عن الجوهر، يجيب أبو رائطه قائلًا:

«إنّما وصفنا أنّه متّفق في الجوهر، مفارق في الأقانيم،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وجوهره هو أقانيمه، وأقانيمه هم جوهره،
بمنزلة أضواء ثلثة في بيت واحد» (رر ٧٩).

فالافتراق الذي تؤكّده الخواصّ (الأبويّة، البنويّة والانبثاق) لا يدلُّ على اختلاف بين أقنوم وآخر، بل على إضافة أو نسبة أو علاقة أقنوم بآخر، ولنا في ذلك مثل خواصّ البشر من دون أن يكون ذلك دليلًا على اختلاف جوهرهم. وهنا يعود أبو رائطة إلى ما كان يؤكّده الآباء الكبادوكيّون حين عمدوا إلى البرهان على وجود الثالوث.

٣ - **القياس والبرهان العقليّ**: إنّ أبا رائطه يميِّز بشكل واضح بين القياس والبرهان العقليّ، رغم أنّ التعابير التي يعتمدها لم تكن بعد دقيقة. فالقياس يفترض، في نظره، تشابهًا جزئيًّا، وهذا يعني أنّ هناك عدّة نقاط اختلاف بين طرفي القياس. وهذا يعني أيضًا أنّ القياس أو التمثيل (analogie) يختلف تمامًا عن القياس الاستدلاليّ أو الاستقرائيّ (syllogisme)، وأنّ الاختلاف بين طرفي القياس هو أهمّ من التشابه، مع الأخذ بعين الاعتبار نقاط التشابه والقربى، بما يخصّ تأكيد وجود الثالوث. وهذا ما يشير إليه يحيى بن عديّ عندما يقول بشأن التشبيه: «ليس يلزم مَن أتى بمثال لشيء من الأشياء ممثِّلًا له من وجه ما، أن يطالب بأن يكون مثاله مشابهًا للممثّل به في جميع الوجوه»[11].

وهكذا يصبح البرهان القياسيّ (التمثيليّ) مجرّد صورة شكليّة تسمح بفهم ناحية معيّنة من الحقيقة؛ لكن هذا البرهان لا يصلح أن يكون أداة فاعلة لاكتشاف الحقيقة.

إنّ أبا رائطه يستخدم القياس (التمثيليّ)، لا لتكوين صورة عن الحقيقة التي تمّ اكتشافها مسبقًا، لكن لاستخدام ما ينتج من العمليّة التشبيهيّة كحجّة منطقيّة للدلالة على أنّ مقولاته بشأن الثالوث هي

---

(١١) راجع *Petits traités apologétiques*, éd. Périer, pp. 39-40.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معقولة ومقبولة. فبعد أن أثبت في الرسالة عن الثالوث الأقدس أنّ الله هو واحد بالطبيعة وثلاثة من ناحية الأشخاص، وبعد أن رفض التمييز الحقيقيّ بين الجوهر والأقانيم، فهو يحاول، بواسطة القياس التمثيليّ أن يعلّل موقفه وأن يشرحه شرحًا مقنعًا. ولكنّ الاعتماد هنا فقط على هذا النوع من القياس، يلقي ضوءًا خافتًا على الموضوع من دون تعليل أو برهان: «إنّما وصفنا أنّه متّفق في الجوهر، مفارق في الأقانيم، وجوهره هو أقانيمه وأقانيمه هم جوهره، بمنزلة أضواء ثلاثة في بيت واحد».

ومن التشابيه التي يلجأ إليها أبو رائطه من حينٍ إلى آخر، موضوع الشمس، ونورها وحرارتها، التي تؤلّف بأكملها شمسًا واحدة. وهذا التشبيه يهدف إلى تبيان أنّ وحدة الشمس لا تنفي مبدأ التمايز بين الشمس والنور والحرارة. ويستخدم أبو رائطه أيضًا تشبيه المصابيح الثلاثة في غرفة واحدة: أليس ضياؤها ضياءًا واحدًا، ومع ذلك لكلّ واحد منها ضياؤه، بمعنى أنّه إذا أخرجنا أحد المصابيح من الغرفة، يخرج ضياؤه معه.

٤ - **تصوّر الوحدانيّة والثالوث**: من المعلوم أنّ المسيحيّين يقولون بأجمعهم إنّ عقيدة الثالوث الأقدس هي سرّ عميق، لا تطوله قدرة العقل البشريّ، رغم إمكانيّاته في التصوُّر والإدراك. لكن إذا كان هذا السرّ فوق طبيعة الإنسان وإدراكه، فهل هذا يعني أنّه من المحال وغير منطقيّ؟

إنّ اللاهوتيّين المسيحيّين حاولوا منذ أقدم العصور التعبير، بكلام بشريّ منطوق، عن سرّ الثالوث، وقد قال بعضهم إنّه من الممكن التعبير عن وحدانيّة الله وثالوثيّته بطريقتين مختلفتين: الأولى تقول بأنّ الله هو واحد بحسب الطبيعة، والثانية تقول بأنَّه ثلاثة بحسب الأشخاص أو الأقانيم. فهو واحد في بنيته الدائمة ووجوده،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هو غير المتناهي، الذي لا شبيه له، الحيّ القيّوم، كموجود بذاته. والله ثلاثة من ناحية الأشخاص والأقانيم لأنّ ذلك هو العدد الكامل.

من خلال دراسة نصوص أبي رائطه، يتبيّن لنا أنّ كاتبنا لا يقبل بهذا الرأي إذ يشير إلى أنّ إثبات التمييز الحقيقيّ، في الله، بين الطبيعة والأقانيم يقود حكمًا إلى جعل الثالوث مجموعةً من أربعة آلهة وهذا مرفوض: «فاسم الله، له الحمد، اسم جوهر بذوات الأقانيم الثلاثة، بلا زيادة ولا نقصان. وهذه الأقانيم جوهر واحد، لا جواهر» (رر ٣٠). فأبو رائطه يرفض بهذا أن يكون هناك نوع من التمييز الشكليّ أو الكينونيّ بين الأشخاص والطبيعة الإلٰهيّة، فيؤكّد أنّ الواحد (الطبيعة) هو (الأشخاص الثلاثة).

وأقلّ ما يقال في هذا الرأي إنّه يثير بعض الإشكالات، وإنّه من غير المقبول منطقيًّا أن يتمّ الإدماج بين الطبيعة والأشخاص، وألاّ يكون هناك تمييز حقيقيّ بينها. فالإيمان يُعلن أنّ هناك تمييزًا بين الأشخاص بما يخصّ الخواصّ، وأنّ هناك وحدة بينها في الجوهر أو الطبيعة، وأنّ هذه الطبيعة المشتركة التي هي غير مركّبة، هي مطابقة لكلّيّة كائن الأقنوم الواحد. ولكن أبا رائطه يؤكِّد التماهي بين الأشخاص والطبيعة، بهدف تأكيد وحدانيّة الله من ناحية، وعدم أسبقيّة الطبيعة على الأشخاص أو الأقانيم؛ فعبارة «الواحد هو الثلاثة بلا امتراء، والثلاثة هي الواحد بلا شكّ» كما يقول أبو رائطه في هذه الصيغة، تؤكِّد الوحدانيّة ولكنّها لا تأخذ بعين الاعتبار قضيّة الخواصّ (الأبوّة والبنوّة والانبثاق) التي يعالجها لاحقًا.

في الرسالة حول الثالوث الأقدس، يتوجّه أبو رائطه إلى غير المسيحيّين الذين يريدون شرحًا مقنعًا لسرّ الثالوث. فالغاية الرئيسة من العرض اللاهوتيّ، في إطاره المنطقيّ الجدليّ وكذلك في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

محتواه، هي تأكيد «أنّ الله لا يخلو طرفة عين ولا لمحة بصر من أن تكون منه وفيه الحياة والعلم صفتان أزليّتان كاملتان».

«كاملين من كاملين» وهو بذلك يعني الابن والروح القدس. وهل هذان الأقنومان هما على افتراق أو على اتّصال بالجوهر؟ فإذا قيل إنّ الأقانيم هي مفترقة غير متّصلة، فقد وُصِف الله بالمحدود وكان جوهر الواحد مختلفًا عن الآخر (رر ٧١). وإذا قيل إنّ الأقانيم هي «مأسورة، متّصلة، غير متباينة» فهذا يعني أنّها ليست كاملة بذاتيّتها. والجواب الصحيح هو أن تكون مفترقة ومتّصلة في آن معًا، والاتّصال يكون على مستوى الجوهر والتباين يكون «في الأشخاص، أي الأقانيم» (رر ٧٧). وهنا ينبري أبو رائطه لتقديم مثل السُرُج الثلاثة التي تنير البيت الواحد بضوء واحد. فكلّ سراج هو قائم بذاته وثابت بعينه وهذا ما يؤكّد اختلافها، في حين أنّها هي كُلُّها مصدر الضوء الواحد.

والواقع أنّ أبا رائطه يختصر مقولته «في الافتراق والاتّصال على حدّ سواء» في العبارة التالية: «فجوهر اللاهوت ثلاثة أقانيم، وثلاثة أقانيم جوهر اللاهوت، جوهر». فالجوهر يخالف الأقنوم فقط لأنّ وظيفته هي ضمّ الكثرة في وقت تختلف الأقانيم عن الجوهر، لا بالجوهر بل بخواصّها أو خاصّيّاتها:

«فأمّا إذ قد صار كلُّ واحد منها أقنومًا كاملًا، معتقلًا بخاصّيّته التي بها يخالف الآخر، لم يلزم كلّ واحد منها بصفة الآخر في الخاصّيّة، بل كلّ واحد منها يُعرف بخاصّيّته، الآب بأبويّته، والابن ببنوّته والروح بخروجه من الآب» (رر ٩٢).

والواضح عند أبي رائطه أنّ التباين بين الأقانيم يعود إلى أنَّ كلّ واحد منها يعتقل بخاصّيّته التي تختلف عن خاصّيّة الآخر، وأنّ هذا التباين لا ينعكس بشيء على مستوى الجوهر أو الطبيعة. فالجوهر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإلٰهيّ هو شبيه بالجوهر البشريّ، «الإنسان العامّ» (رر ٨٩)، والأقانيم، باختلاف خواصّها، هي شبيهة بآدم وحوّاء وهابيل الذين يمتلكون صفات مغايرة، «لأنّ آدم والد لا ولد، وهابيل ولد لا والد، وحوّى خارجة من آدم لا والد ولا ولد» (رر ٩٣). إلاّ أنّ القياس الثنائيّ هذا، أو التشبيه، يبقى محدودًا ويعني ما يعنيه «بقدر ما يمكن المحسوس المبصر أن يكون سرًّا كما ليس بمحسوس ولا مُبصر» (رر ٩٥). وهل يعني هذا أنّ الأقانيم هي آلهة ثلاثة؟ يجيب أبو رائطه عن هذا السؤال أنّ آدم وحوّاء وهابيل يُوصفون أناسًا ثلاثة، إلاّ أنّ الأقانيم لا تسمّى كذلك، آلهة ثلاثة، لأنّ الإنسان يلحقه القِدَم والاختلاف في القوّة والهمّة والتغيُّر، في حين أنّ الأقانيم هي متّفقة في جميع أمورها. ويضيف أبو رائطه «أنّ الجوهر، الإنسان العامّ أو الذهب أو غيره هم جواهر عامّة وظيفتها «كثرة الضمّ»» (رر ١٧٠)، أي إنّها المدلول الذي ينضوي إليه المتجزِّئ، في حين أنّ الجوهر الإلٰهي يستحقّ أن يُسمّى به كلّ أقنوم «لأنّه ليس بمخالف في ذاته ذات غيره من الأقانيم» (رر ١٦٩) وأنّ الخاصّيّة هي المعبِّرة عن قوام كلٍّ واحد وليست علّة تباين واختلاف.

الخلاصة: نحو تعبير جديد

إنَّ الهدف ممّا تقدّم ليس في إبراز صورة متكاملة الأطراف عن إشكاليَّة الفيلسوف والمنطقيّ[١٢] حبيب خدمة أبي رائطه التكريتيّ في الثالوث الأقدس، بل بالأولى معالجة نقطة مركزيّة في سُلَّم الأولويّات التي تهمّنا اليوم، أعني قضيّة علاقة الإيمان بالثقافة أو

(١٢) هذان اللقبان هما من ديونيسيوس التلمحريّ، راجع الأب كميل حشيمه/ لويس شيخو: **علماء النصرانيّة في الإسلام**، جونيه - روما، ١٩٨٣، ص٦٥.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التعبير عن معطيات إيماننا الأساسيّة بلغة تكون الأقرب من فهم المخاطَب. ولدينا في نصوص أبي رائطه التكريتيّ وفي مختلف النصوص الكلاميّة المسيحيّة التي تلته، محاولات جدّيّة وجريئة للقيام بهذه المهمّة. وأوجز في العناوين التالية أهمّ الأفكار التي وردت في الدراسة: أهمّيّة الكلام، وإشكاليّة أبي رائطه التقليديّة في الثالوث المقدّس، ومحاولة التعبير عن هذه الإشكاليّة بشكل معاصر، وأخيرًا نتيجة الجهد الكلاميّ الخاصّ بأبي رائطه.

أ - أهمّيّة الكلام

لا شكّ في أنّ بنية الكلام التقليديَّة قد تبدّلت بتبدُّل المتغيّرات الثقافيّة والسياسيّة والدينيّة، بالرغم من أنّ الخطاب الجدليّ لا زال يلاقي رواجًا إلى حدٍّ ما. إلاّ أنَّ ما كان يشدّد عليه أبو رائطه في بداية الرسالة في الثالوث المقدّس ما زال حيًّا: لا كلام بدون الحفاظ على الكلمة، على استقلاليّتها وحرمتها. فهناك قاعدة مشتركة للتحاور بين فريقين لكي يأتي التناظر متوازنًا عميقًا. فالكلام، نهجًا وممارسةً، هو قدرة العقل لدى الفريقين على التعبير عن مكنونه ومقوّماته. فعندما يقول أبو رائطه لخصمه: «نحن وأنتم في الكلام سواء» (رر ٢٠)، فإنّما يشير بمنطق واضح صريح، لا إلى النهج وحسب، بل إلى المَلَكة التي يمتلكها كلّ إنسان، إلى القوّة العقلانيّة كوسيط فعّال وعمليّ. ويغلب هنا الطابع الإنسانيّ البحث على أبي رائطه فيتابع مخاطبًا الفريق الآخر: «أيّها القوم إنّما دعاءنا إلى محاورتكم (. . .) رجاء أن تنصفونا في الكلام وتفاصلونا منه مفاصلة الإخوة المشتركين في بضاعة توارثوها عن أبيهم، وكلّهم فيها مشتركون ليس لبعضهم فيها شيء دون بعض». فـ«المخالفة في الملّة» أو في الرأي (رر ٣١)، ليست حجّة تقضي برفض التحاور، بل هي فرصة لكي يتعمّق الواحد في إيمانه وفي التعرّف إلى ما يشكّل أساس كيانه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ووجوده. فالنهج الكلاميّ له في هذا المجال إيجابيّاته: إنّه يرفض الجدل العقيم أو الإلزام المطلق ويتمسّك بقواعد الجدل الصحيح التي تفترض البحث والنظر في قضيّة ما، وكذلك الجهد الرصين والوقت الضروريّ لكي ينتقل الجانبان من الافتراض والظنّ، على عموميّتهما، إلى ما هو ثابت وأكيد، ومن حيِّز التجانس إلى المعرفة الواضحة (راجع رر ٢٥-٢٦).

ب - إشكاليّة أبي رائطه «في الثالوث المقدّس»

إنّ رسالة أبي رائطة في الثالوث المقدّس، على قصرها، لها أهمّيّتها المميَّزة في معالجة قضيّة تقليديّة بين المسيحيّين والمسلمين، وتقع على ملتقى طرفَيْ أو عالَميْ نفوذ لكلّ واحد منهما اتّساقه وغناه. فالبعد المسيحيّ السريانيّ، المشبع لاهوتيًّا من التراث الثقافيّ اليونانيّ، يلتقي، في أواخر القرن السابع أو مطلع الثامن، ببعد أخر هو قيد التكوّن ثقافيًّا وإنسانيًّا، أعني البعد العربيّ الإسلاميّ. وهذان البعدان يجتمعان عند أبي رائطه بشكل واعٍ ومتعمِّد، وبذلك تكون مساهمته الكلاميّة أنموذج الكلام المسيحيّ الذي سيأتي لاحقًا.

فأبو رائطه لا يرمي إلى إثبات منطقيّة الوحدانيّة والثالوث في الله وحسب، بل يريد أيضًا أن يبيِّن أنّ لا معنى للوحدانيّة المجرّدة البعيدة عن الغيريّة (رر ١٢٦-١٢٨). ويأتي أبو رائطه ببراهينه وببنية سياق كلامه من معرفته التراث العربيّ الإسلاميّ من ناحية، ومن التصوّر المسيحيّ المتداول آنذاك والذي يعتمد، أكثر ما يعتمد، على إثباتات الأقمار الآباء الثلاثة وعلى رأسهم باسيليوس القيصريّ من ناحية أخرى. ومن الممكن إبراز التلاقي في إشكاليّة أبي رائطه في العناصر التالية:

١ - يحدّد أبو رائطه الله بأنَّه واحد في الجوهر «يعمّ أشخاصًا شتّى»

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(رر ٤٣) نظرًا لكماله وهو، في العدد أي في الأقانيم، ثلاثة (رر ٤٥): «أمّا وصفنا إيّاه واحدًا في الجوهر فلاعتلائه عن جميع خلقه وبريَّته، محسوسة كانت أم معقولة، لم يشبهه شيء، ولم يختلط به غيره، بسيط غير كثيف، روحانيّ، غير جسمانيّ، يأتي على كلّ بقرب جوهره، من غير امتزاج واختلاط». أمّا في العدد فهو ثلاثة «لأنّه عامّ لجميع أنواع العدد. لأنّ العدد لا يعدو أن تكون أنواعه نوعين: زوجًا وفردًا. فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة أقانيم» (رر ٤٦-٤٧).

هذا التصوّر الخاصّ بأبي رائطه يقوم على المقولات المنطقيّة التقليديّة التي كان يتداولها المناطقة والمتكلّمون في ذلك الوقت، وهذا ما أشرنا إليه سابقًا وإلى طرق استعمالها ونتائجها. لكن ما يلفت النظر في ما يقوله أبو رائطه هو تشديده على نقطة أساسيّة يتّفق عليها مع محاوره، ألا وهي العجز عن وصف الله بما يمكن أن يوقع في التشبيه بالخلائق. فحين يقول أبو رائطه: «لم يشبهه شيء»، يؤكّد المحاور من جانبه: «ليس كمثله شيء» و«لا يصفه الواصفون». فعلى المتكلّم أن يعمل على وصف الله (épinoia) بشكل لا يقع معه في الإدراك، وهو على حدّ قول المتكلّمين المسلمين، «الإحاطة بما هو محدود». أمّا العجز عن الوصف (طريق النفي أو السلب) فهو مسألة تناولها الآباء حين بيّنوا أنّ الإنسان غير قادر على التعبير عن جوهر الله إلاّ بصورة رمزيّة.

٢ - تتميَّز إشكاليّة أبي رائطه في عرضه قضيَّة التثليث من خلال قضيّة تخصّ المحاور الآخر، وهي قضيّة الأسماء والصفات بالذات الإلهيّة، وقد كانت هذه المشكلة قضيّة محوريّة لدى أهل الاعتزال وغيرهم منذ نهاية القرن السابع. في منظور أبي رائطه، من الممكن طرح قضيّة التثليث من هذه الزاوية: هل الأسماء

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والصفات هي أسماء مفردة أم منسوبة؟ هي منسوبة مضافة، ليست «غيره» بل هي «منه» دون أن تكون «فعلًا» منه بل من جوهره، كاملة من كامل. وختامًا هي «مأسورة مفترقة، جميعًا معًا» (رر ٧٠): «إنّما وصفنا أنّه متّفق في الجوهر، مفارق في الأقانيم، وأقانيمه هم جوهره» (رر ٧٩).

إنّ أبا رائطه ينطلق هنا من مشكلة تخصّ ظاهرًا الكلام الإسلاميّ في محاولته استكشاف الله في صفاته كحيّ وحكيم وعالم. والحلّ الكلاميّ الإسلاميّ كان في القول بأنّ هذه الصفات ليست إلاّ تعبيرًا إثباتيًّا عن الجوهر، وبأنّ هذه الصفات تدلّ على عظمة الذات وجلالها. لكنّ أبا رائطه يجد في هذه القضيّة صدىً لقضيّة الوحدانيَّة والتثليث، وقد حاول الكلام المسيحيّ أن يعالجها وأن يجد لها الحلول حين وجدت المجامع المسكونيّة نفسها أمام التحدّي الكبير وكذلك اللاهوتيّون الأوائل: لا يكفي أن نتكلّم بشكل سلبيّ على السرّ، بل هناك طريق ثانية على المؤمن أن يستكشف معالمها ألا وهي طريق الإثبات من دون الوقوع في التشبيه.

في هذا المجال، يستنبط أبو رائطه المقوّمات الأساسيّة لجوابه عن سؤال المسلمين، من التقليد اللاهوتيّ المسكونيّ. فمن المعروف أنّ ترجمات سريانيّة لأعمال آباء بيزنطيه، وخاصّة باسيليوس القيصريّ (الـ Contre-Eunome مثلًا) كانت متداولة في القرن السادس ميلاديّ. لكن من الصعب بمكان أن نعرض مساهمتهم في عقيدة «الوحدانيّة والثالوث» بإسهاب وبالأخصّ تصوّر باسيليوس القيصريّ المبدع، لكنّنا نلفت النظر إلى المحور الذي تتركّز عليه الإشكاليّة: فمقولة الافتراق والاتّصال معًا هي من غريغوريوس النيصيّ والإطلاق والإضافة هما من وضع باسيليوس

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القيصريّ كما يثبت مؤرّخو الفكر اللاهوتيّ المسيحيّ. فمن المعلوم أنّ الخطاب اللاهوتيّ الكبادوكيّ انطلق من تأكيد ألوهيّة الروح ثمّ تطوّر إلى تصوّر ثالوثيّ عامّ: فالتمايز المعنويّ بين الله والأقانيم يرتبط قياسيًّا بالتمايز المعنويّ بين الشيء العامّ وخواصّه. فالخاصّة بإشارتها إلى «القوام والثبات بالذات» والاختصاص، تفترق عن الجوهر الذي لديه القدرة على «كثرة الضمّ». لكن كلّ خاصّة مضافة إلى الآخرين إضافة جوهريّة طباعيّة. وجدير بالذكر أنّ باسيليوس القيصريّ هو أوّل مَن قام بعمليّة التمايز هذه ليطبّقها على إشكاليّة الوحدانيّة والثالوث. أمّا أبو رائطه فإنّه يعبّر عن هذا التصوّر بالاستنتاج التالي: فأمّا الأقانيم فهي «متّفقة في ماهيّتها ووجودها ومتميّزة لميزة قوام ذات كلّ واحد منها (...) ومختلفة لاختلاف خاصّة كلّ واحد منها من غير أن يكون جوهرها مختلفًا لاختلاف خواصّها، لأنّ الخواصّ دالّة على صفات إضافة أقنوم إلى أقنوم لا على ذوات المضافة كاختلاف خواصّ آدم وحوّى وهابيل» (رر ١٣٢-١٣٣).

ج - التعبير عن العقيدة في إشكاليّة عربيّة

نعرف أنّ تحديد الخواصّ هو من وضع باسيليوس القيصريّ (Contre-Eunome II, 28)[١٣]، في ما يخصّ الأبوّة والبنوّة، ومن وضع غريغوريوس النيزيانزيّ في ما يخصّ الخروج الخاصّ بالروح القدس. أمّا أبو رائطه، فهو يتحدّث عن الخواصّ - الأقانيم من خلال قالب قريب من فهم الخصم حين يقول: «فإنّا مخبروكم أنّ الذي دعانا إلى أن نصفه بهذه الصفة - أي الثلثة أقانيم - هو وجود الأقانيم أنفسها، لأنّها لم تزل ثلثة، جوهرًا واحدًا، كما أنّ الله ذو

(١٣) Cf. B. Sesboué, *Contre-Eunome*, in Coll. Sources chrétiennes, présentation et traduction (T I et II).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

علم وروح، وعلم الله وروحه دائمان قائمان، لم يزالا، لأنّه لا يجوز في صفة الله له الحمد أن يكون موصوفًا في أزليّته بلا علم وروح». والواضح أنّ أبا رائطه يريد مرّة أخرى، وبشكل متعمِّد، أن يبقى على اتّصال بالذهنيَّة المقابلة له: فهو يتحدّث عن الصفات والأسماء، ثمّ عن الخواصّ، وبعد ذلك عن الأقانيم - الأشخاص، ويعود إلى الصفات والأسماء أي إلى «ميدان مشترك» بينه وبين مخاطبيه. ويتحاشى أبو رائطه الحديث عن ثلاثة أسماء، مكتفيًا بالعلم والروح، لأنَّ هذه كاملة من كامل وهو الله وتشاركه في جوهريّته.

د - الاستنتاج

لا شكّ في أنّ أبا رائطه الذي كتب منذ ألف سنة ونيّف هو معاصر لنا لجهة النيّة والتوجّه العمليّ في العناية بذهنيّة الخصم ومعرفة تراثه وثقافته. لكنّ أبا رائطه لا يضع نفسه خارج إطار ثقافة المخاطب: فهو وإن اعتمد على ثقافة مسكونيّة، ينطلق بشكل طبيعيّ من إطار ثقافيّ جديد، صار إطاره الخاصّ، وذلك خدمة للكلمة ولإيمانه. فأبو رائطه المتكلّم هو صاحب معاناة قبل أيّ شيء: فهو أبعد من أنّه لا يخاف الغوص في ثقافة الآخرين وفي التوجّه إليهم والإفادة من مقولاتهم لأنّ ذلك هو الطريق الأصلح لكي تكون الكلمة هي المنتصرة.

coptic-books.blogspot.com

ما قال الرشيد يحيى في حرمة المنلوف الى اخره قال ان
[illegible] وفا رحسن من المنلوف والمعروف ليحتذم
لطعام والمنلوق تعالى [illegible] راحما به وهلاه من
قول الذكر ونبارى اسمى الحالات في صلواته

1924
1001
العيوني

بسم الله الرؤوف الرحيم

رسائل حبيب بن خدمه المعروف بابي رايطة التكريتي

الرسالة الاولى في الثالوث القدس

٦٧ مكرر

الهمنا الله واياك الصواب وا[illegible] المعلى على ثوابيد
وجعلنا واياك ممن يلتمس حقه ونوره وينقاد بصايبه
العلميه ويتبع مصابيحه النيره المرشده لمن استنار بها
الى ادراك حقايق الامور مواظبين عليها متمسكين بفرايضه
لازمين لشرايعه متحرين لسننه اخذين بكلامه فرحين
بريده رافضين لمن خالفه مجتنبين لمن اسخطه جاحدين
الكفر والطاغوت مصدقين بالله وبما جا من عنده
فانه ولي كل نعمه ومنتهي كل رغبه ∴ اما بعد فانك
سالت ان انشي لك كتابا اوضح لك فيه ما اشكل عليك
من اقاويل الامم وادعايهم الصواب لما في ايديهم ولا
سيما قول اهل التيمن ووصفهم فضل دينهم وشرفه
واعلايه على سائر الاديان وان اشرح لك مع ذلك
اقرار اهل الحق وحججهم وما اتوا به من الحجه والبرهان
وانهي ذلك بهيه المسايل والاجوبه فلقد سالت من ذلك
امرا فيه بعض العسر والصعوبه لا يعين عليه الا الله له
الحمد دايما وذلك لجلال البيان على ذكرها ارشد الله

christianlib.com
coptic-books.blogspot.com

لئلا يظن ... الاسم الالهي
اي ... الشي فقد يقال عن واحد
... كامل من كامل فالنعل كالكتابة من كاتب
... والرجل من البدن واما الكامل من الكامل
كالولد من الوالد فقد يقال انه منه ليس بفعل ولا بعضه
بل كامل من كامل كما وصفنا وهو مستوجب اسم الذي هو منه
اي انسان من انسان وقد يقال ان اشيا من شي على غير احد
هذه الثلثه وجوه نحوا الموصوفه من ادم وهي منه لا بعضه
ولا فعله ولا ولده كامله من كامل انسان من انسان
هذا القول في الابن والروح من الاب سبحانه كل واحد
منهما نعم العدد لا بعض الذات الاب بل ذاتان كاملتان
من ذات كامله فالابن منه كالولد من الوالد والروح خارج
منبثق منه كخروج حوا كما ذكرنا وان كان الله عز وجل منه
متعاليا ولا يحسب القول في هذا الوجه الان قد انتهي
منتهي   كمل القول الاول بعون الله سبحانه
ولواهب النعم جزيل الشكر والحمد دايما
ونحن بادرين بالقول الثاني ان
شا الله تعالى ذكره

الرسالة التاسعة لابي رايطة التكريتي

في التجسد

كان القول جرى في صدر هذا الكتاب ... صفه
الله له الحمد ونعت توحيده وتثليثه ...
واتفاقها وتمييز قوام ذات كل واحد منها واختلاف ...
وذلك بايضاح وشرح بمقاييس صحيحه صادقه وحجج عزيزه
ثابته وبينات نيره مضيه لمن كان للحق مريدا واياه طالبا
ولم نذكر من امر تجسد احد الاقانيم وهو الابن كلمه الاب
الازليه وصيرورته انسانا بلا تغير عن حاله او تبدل عن
جوهره لانها جوهر من جوهر . وذلك لقول
مسايلكم ايانا في هذا الوجه وقد يجب علينا النظر فيما تسلون
من امر المتجسد والتجسد واجابتكم في ذلك جوابا مرضيا
متفقا ليلا يا خذنا في الله لومة لايم موافقا كان لنا او مخالفا
مسالما او معاندا . قال مخالفونا
اخبرونا عن المتجسد لكم الاله ام انسان يقال لهم ان المتجسد
عندنا الاله مناس فان قالوا ان كان المتجسد عندكم الاها
فقد اوجبتم في مبدء قولكم ان الله اقانيم فالمتجسد اذا
اقانيم ثلثه فكيف زعمتم ان المتجسد احد الاقانيم الثلثه لا الثلثه

christianlib.com
coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الرابع

نصّ «الرسالة الأولى في الثالوث المقدَّس»

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مقدّمة النص المحقَّق

إنّ الرسالة في الثالوث المقدّس هي، في تاريخ التراث العربيّ المسيحيّ، من النصوص التقليديّة التي تركت أثرًا في ما كُتب لاحقًا في لاهوت الثالوث. ولأن نصّ أبي رائطه هو من النصوص الأساسيّة، وبما أنّ نشرة جورج غراف غير متوفِّرة للقارئ وحتّى للباحث، وبما أنّ هذه النشرة هي صعبة القراءة وبالتالي قليلة الفائدة، فقد ارتأينا إعادة تحقيقها ونشرها بعد أن تمّ إنجاز الأمور التالية:

- قراءة مخطوط المكتبة الوطنيّة في باريس قراءة متمعِّنة مدقِّقة، باريس عربيّ ١٦٩، (P 51 ro - P 63 vo).
- قراءة مخطوط مكتبة حلب قراءة متمعِّنة مدقِّقة، سباط ١٠٠١ يعقوبيّ، (S 85 ro - S 104 ro).
- مقارنة نصَّي حلب وباريس بنشرة غراف.
- إثبات الفروقات بين مخطوطتي باريس وحلب ونشرة غراف في أسفل النصّ المنشور في هذا الكتاب.
- تقسيم نصّ الرسالة والمقطع المستخرج من «رسالة الدفاع عن النصرانيّة» إلى جملٍ منطقيّة لتسهيل القراءة.
- إدخال بعض العناوين الفرعيّة ضمن قوسين [ ].
- الإشارة في الهامش إلى صفحات المخطوطتين ونشرة غراف.
- ثبت المراجع الكتابيّة والقرآنيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الرسالة الأولى[١] في الثالوث المقدّس

[أ – المقدّمة]

[(١) ديباجة المؤلِّف]

١ ألهمنا الله وإيّاك الصواب
وأيّدنا بتأييده المُعتلي[٢] على كلّ تأييد
٢ وجعلنا وإيّاك ممَّن يلتمس حقّه ونوره،
وينقاد بضياء سرجه العلميّة
ويتبع مصابيحه النيِّرة المرشدة
لمَن استنار بها إلى إدراك حقائق الأمور
٣ مواظبين عليها، متمسّكين بفرائضه
لازمين لشرائعه، متحزّبين لسننه
آخذين بكلامه، فرحين بدينه
رافضين لمَن خالفه، مجتنبين[٣] لمَن أسخطه
جاحدين الكفر والطاغوت[٤]، مصدِّقين بالله[٥]
وبما جاء من عنده
٤ فإنّه وليُّ كلّ نعمة ومُنتهى كلّ رغبة.

[(٢) سبب تأليف هذا الكتاب]

٥ أمّا بعد، فإنَّك سألتَ أن أكتب إليك كتابًا

---

(١) الأولة PG
(٢) المعلى S
(٣) مجتنبين SG
(٤) الطاغوة S محبتين P
(٥) بالله S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أُوضِحُ لك فيه ما أُشكِلَ عليك من أقاويل الأمم
وادّعائهم الصواب لما في أيديهم
ولاسيّما قول * أهل التيْمَن S 82[2]
ووصفهم فضل دينهم وشرفه واعتلائه[٦] على سائر الأديان
٦ وأن أشرحِ لك مع ذلك إقرار أَهل الحقّ ومحبّتهم
وما أتوا به من الحكمة والبرهان،
وأنهي ذلك بهيئة[٧] المسائل والمجاوبة.

[(٣) تردّد أبي رائطه في تأليف الكتاب وأسباب التردّد]

٧ فلقد سألت من ذلك أمرًا فيه بعض العسر والصعوبة
لا يعين عليه * إلاّ الله له المجد دائمًا G 2
وذلك لخِلال[٨] أنا آتٍ على ذكرها إن شاء الله
٨ فأولُّ ذلك، أنّ مَن كان في مثل حالي
ممَّن قد غلب عليه الغيّ[٩] وبروز[١٠] الكلام
وقلّة[١١] الاستمال له والحضور لأهله
* فلا شيء أولى به من الكفّ[١٢] عمّا لا طاقة له به، ولا نهوض. P 52[1]
٩ ثمَّ مَن قد لحقه من المَوْنِ[١٣] والكَلَفِ في أمر معاشه

---

(٦) واعلايه S
(٧) بهية PSG
(٨) بخلال SG
(٩) أبعى P
(١٠) وبروز P
(١١) وقلت S
(١٢) الكلّ S
(١٣) المؤن PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الدنياويّ(١٤)
ما لا سبيل معه إلى إشخاص رويّته(١٥)
وإرسال أشراط ذهنه في البغية
ليحترس بجهده من الخطأ والغلط.
١٠ وأمّا الثالثة [فـ] هي التي(١٦) تفسخ الشهوة
وتردع عن التكلّف بشيء من هذه الأمور
الواضعة الزمام والرباط على شفتيّ.
١١ «حذاري لسفه سفيههم * S 86[1]
وشغب أهل الباطل منهم، وتطاولهم وافتخارهم
وإعجابهم بما أوتوا من القدرة والسلطان
فلا يأمن مخالطهم أن يورّطوه فيما لا خلاص له منه ولا منجى
إلاّ بعون الله وعصمته».
١٢ فقد التبس عليّ ذهني وانتشرت أركان حيلي،
وتِهت المذهب وتحيّرتُ
وصرت مؤامر نفسي التقدّم على ذلك،
والتخوّف ممّا ذكرت(١٧) أو أُهمله.
فذلك أشدّ وأعظم لتخوّفي ولتهيّبي
ممّا يلزمني من العيب والشُّنعة.

[(٤) إستجابة أبي رائطة لسائله، وأسباب الاستجابة]

١٣ ولأنّي ضعيف، وخِفتُ(١٨) الكلام مخافةً على نفسي في العاجل
وكتمت الحقّ ولم أُعلِنه بجُهدي، ولزمتني الحُجّة في تصنيفي

---

(١٤) الدنياى PSG
(١٥) رويه PS رأيه G propose
(١٦) التي هي PS التي هي G propose
(١٧) ذكرة S
(١٨) وحفت P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك، وقلّ[١٩] تفقُّدي لما ذكره سيِّدنا المسيح، جلّ ثناؤه
في وصيّته شيعته في كتابه
وتقويته إيّاهم حيث قال:
«لا تهابوا ممَّن كان على قتل الجسد قادرًا
فإنّهم لم يقدروا على قتل النفس.
بل هابوا واحذروا
مَن كان على إنزال[٢٠] النفس والجسد
في نار جهنَّم قادرًا، * حيث لا خمود لنارها G 3
ولا انصرام لعذابها»[٢١] وقوله في الإنجيل * أيضًا: S 86²
«مَن سألك فاعطه[٢٢]
والطالب منك لا تمنعه»[٢٣]،
وهذه وأشباهها ممّا لم أذكر في هذا الكتاب
١٤ ولتوكُّلي وإلجائي نفسي إلى الذي قال:
« * لا تهتمّوا ما الذي تقولون P 52²
فقط[٢٤] تُعطون عند الحاجة ما إيّاه تنطقون»[٢٥]،
وطَّئتُ نفسي على قضاء[٢٦] حاجتك
والاجتهاد في إعلان وإيضاح
ما ادُّعي على الفريقين من أمر دينهما
ليكون مُلزمًا لكلّ ذي حقٍّ حقَّه وباطلٍ باطله.

(١٩) وقلت P، وقلّة S، وقلّ G propose
(٢٠) إيراط P
(٢١) لو ١٢/٤
(٢٢) فاعطيه S
(٢٣) متّى ٥/٤٢
(٢٤) فقد PG
(٢٥) متّى ١٠/١٩
(٢٦) قضى PS قضاء G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[الفصل الأوّل: النظر في قضيّة التوحيد والتثليث]

[(١) مقولة الخصم]

١٦ وأوّل ذلك من هاهنا.

قال أهل التَيْمَن إنّ الحجّة في أيدينا، والبرهان في قولنا، لأنّكم وافقتمونا وشهدتم على ما في أيدينا بأنّه حقّ، من حيث لم تُنكروا علينا وصفنا. أنّ الله واحد،

لم يزل ولا يزال، حيٌّ، عالمٌ، بصير، سميعٌ
لا شريك له في جوهريّته ولا في ملكه
وهو الأوّل والآخر
خالقُ ما يرى وما لا يرى
غنيٌّ، كامل ذاته، لا يصفه الواصفون
مُعتلى عن النقص والعجز،
غير موصوف بالتبعيض * ولا بالتجزّؤ(١) S 87[1]
مالك، قويّ، فاعل لما يريد
لا يرى ولا يُحسّ ولا يدرك ولا يحدّ
وسع كلّ شيء علمًا.

١٧ فالدليل الواضح، أنّ قولنا هو الحقّ
ودينَنا هو الصواب
ومَن اتّبع غيره فهو من الخاسرين، بأقراركم(٢) وتصديقكم لقولنا فيما وصفنا الله به من حقّ صفته(٣).

١٨ فأمّا ادّعاؤكم(٤)، ووصفكم الله مع توحيده(٥) بالتثليث، فليس

---

(١) التجرى PSG
(٢) ما إقراركم S
(٣) من الوحدانيّة .S add
(٤) إدعاركم P
(٥) توحّده PG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك ممّا يلزمنا
لأنّا به جاحدون وله منكرون.

[(٢) شروط المحاورة]

١٩ يُقال لهم عند ذلك: «أيّها القوم، إنّما دعاءَنا[٦] إلى محاورتكم؛
وهيج ما هيج في مناظرتكم، فيما بيننا وبينكم، رجاء أن تنصفونا
* في الكلام، وتفاصلونا منه[٧] مفاصلة الإخوة المشتركين في G 4
بضاعة توارثوها عن أبيهم
وكلُّهم فيها مشتركون، ليس لبعضهم فيها شيء دون بعض.
٢٠ فنحن وأنتم في الكلام سواء.
فإن رأيتم أن لا تسرعوا * في قضاءٍ تلزمونا به P 53[1]
حتّى تنظروا فيما يرد منّا من الجواب فيما سألتمونا
لكي تكون قضيّتكم * علينا بعلمٍ ومعرفة S 87[2]
فافعلوا.
٢١ وأمّا ادّعاؤكم، أنّ الحجّة في أيديكم
والصواب والحقّ في مقالتكم، من حيث شهدنا لكم
بأنّ الله واحد مع سائر صفاته، فلذلك يجب على أهل الحقّ ألاّ
يردّوا صوابًا ولا يجحدوه في يد مَن كان، بل يقبلوه أشدَّ القبول
مع جميل الثناء وحسن القول على أهله؛
فإنّ ذلك ممّا يزيّنهم، ويشهد لهم
بأنّهم ملتمسون الصواب جهدهم
ومتّخذون الحقّ بقدر الطاقة.

---

(٦) دعانا PSG
(٧) هنا يبتدئ نصّ أبي رائطه الوارد في مقالة الكنديّ في ردّه على عبدالله بن إسماعيل الهاشميّ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢٢ وأمّا امتعاضكم، ممّا يلزمنا من القول
أو تقوم(٨) به عليكم الحجّة، أنّ الله يوصف مع وحدانيّته(٩)
بالتثليث، من حيث أنكرتم ذلك وجحدتموه فأظنُّ الأمر يلقى
على غير ما وصفتم، لأنّ ليس الذي ليُبطل حجّة قومٍ
امتناع خصمائهم عن قبولها
٢٣ بل يجب علينا(١٠) أن نفحص عن ذلك فحصًا شافيًا
برأي أصيل لا يميل به هوىً عن قضاء السبيل
٢٤ فإن يكن ما ذكرناه من أمر التثليث حقًّا(١١)، * فليُقبل، وإن S 88[1]
أُلفِي(١٢) على غير ذلك، ووُجِد باطلًا، فالرياح أولى به، ولا
قسرَ على(١٣) أحدٍ في قبوله.

[(٣) إختلاف القولين]

٢٥ مع أنّنا، وإن كنّا وافقناكم في مقالتكم، * بأنّ الله واحد، فما G 5
أبعد ما بين القولين، فيما تظنّوا ونصف؛ والشاهد على ما
ذكرت، مخالفة صفتهم لوحدانيّته(١٤) صفتنا إيّاه.
٢٦ لو قد سألناكم عن ذلك، وأجبتمونا: «على كم نحوٍ يُوصف
الواحد واحدًا» فإذا أنبأتموناذلك، علمنا أنّكم صادقون فيما
ادّعيتم من أنّا شهدنا لكم على ما وصفتم.
٢٧ وإن * أُلفِيتم غير عالمين على كم نحوٍ يوصف الواحد P 53[2]

(٨) يقوم PG
(٩) وحدانيّة G
(١٠) أن يجب لنا S
(١١) خفًا P
(١٢) الغي P
(١٣) على S om.
(١٤) لوحدانيّة S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واحدًا(١٥)، فادّعاؤكم بأنّا شهدنا لكم ذلك مدحوض.

٢٨ فهل تقولون إنّ الواحد [لا] يُقال إلاّ على ثلثة أوجه: إمّا في الجنس، وإمّا في النوع، وإمّا في العدد؛ ما إخال بدعته ذوو اللبّ منكم!

٢٩ لأنّا إنّما نناجي ذوي العقول والآراء منكم
الراسخين في العلم، الداخلين الأمور
لا المسبّحين(١٦) الذين إذا وردت عليهم مسألة غامضة بلطف S 88²
عجزوا عن الإجابة * فيها،
ولم يكن لهم من جواب غير سبحان الله،
نعم سبحان الله، حتّى تنضرم(١٧) الدنيا وما دامت الآخرة؛ فمَن يعجز عن مثل هذا الجواب؟

٣٠ فلنرجع إلى ما ذكرنا: ما رأيكم(١٨)؟
أتجيبون أنتم، وأكون من السامعين؟
أو تُقلّدوني ذلك وأحكيه عنكم؟
فإنّي موطّد نفسي على الإنصاف لما كان من الجواب،
وأن أحكي عنكم بصدقٍ إن قُلّدت ذلك.
فاختاروا لأنفسكم مَن ترونه أنّه لكم.

٣١ ولا أمتري أنّكم تأبون تقليدي ذلك،
لأنّ مَن كان مخالفكم في الملّة
كان كلامه لديكم غير مقبول. فإذا أبيتم ذلك لزمكم الجواب.

---

(١٥) واحدًا G propose، واحد PS

(١٦) المسيحيّين G propose والمسحيّن PS

(١٧) وتنطرم S. هنا يبدأ النصّ الذي استلّه عبد المسيح بن إسحٰق الكنديّ عن أبي رائطة.

(١٨) رأيتم SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[الفصل الثاني: مناقشة موضوع التوحيد والتثليث]

[(١) الرأي الأوّل: هل الله واحد في العدد، في الجنس أم في النوع؟]

[أ - في حدّ الوصف المقبول]

G 6 ٣٢ * فعلى أيّ وجهٍ تصفون أنّ الله واحد
من هذه الوجوه التي(١) ذكرناها في موضع ذلك؟
في الجنس، أم في النوع أو في العدد(٢)؟
٣٣ فإن قلتم في الجنس
فصار واحدًا عامًّا لأنواعٍ شتّى مختلفة، لا يجوز في صفة الله.
٣٤ وإن قلتم واحدًا في العدَد
كان ذلك نقضًا لكلامكم أن «ليس كمثله شيئًا».
S 89[1] ٣٥ * لأنّي لا أشكُّ أنَّ كلّ واحدٍ(٣) منكم
لو سُئل عن نفسه: كم هو؟
لم يقدر أن يقول إنّه واحدٌ فردٌ.
٣٦ كيف تقبلُ(٤) عقولكم هذه الصفة
التي(٥) تُفصِّل إلهكم من سائر خلقه؟
وكيف زعمتم «أنّه ليس كمثله شيئًا»
P 54[1] «ولا يصفه * الواصفون».
٣٧ وأيّة صفة أعظم من هذه أو تتشابه؟

---

(١) الذي SG
(٢) العدّ SG
(٣) واحدًا P
(٤) يقبل P
(٥) لا SG add.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مع وصفكم إيّاه بالعدد، تصفونه بالتبعيض والنقصان.
٣٨ أما تعلمون أنّ الواحد الفرد في العدد بعض العدد؟
لأنّ كمال العدد ما عمّ جميع أنواع العدد.
٣٩ فالواحد بعض العدد
وهذا نقض الكلام[٦] أنّه «كامل»، «غير[٧] متجزّئ».
٤٠ فإن قلتم إنّه واحد في النوع
فالنوع[٨] ذوات شتّى، لا واحد فرد.
٤١ وإن كان في الجوهر واحدًا، وجب علينا أن نسألكم:
هل تخالف صفة الواحد في النوع عندكم، صفة الواحد في العدد، أو إنّما تعنون واحدًا في النوع، واحدًا في العدد؟
٤٢ فإن قلتم: «إنّه قد تخالف هذه[٩] تلك»
قلنا: «فحدُّ الواحد في النوع» عند أهل الحكمة
إسم يعمُّ * عددًا شتّى، وحدُّ «الواحد في العدد» عندهم S 89[2]
ما لم يعمُّ غير نفسه.
٤٣ أَفمقرّون أنتم أنّ الله واحد في الجوهر
يعمُّ أشخاصًا * شتّى، أم إنّما تصفونه شخصًا واحدًا. G 7
٤٤ فإن كان معنى قولكم بأنّه واحدٌ في النوع
واحدٌ في العدد
ولم تُفرِّقوا الواحد في النوع، ما هو، وكيف هو
ورجعتم إلى كلامكم الأوّل بأنّه واحد في العدد
فهذه صفة المخلوقين كما وصفنا في موضع ذلك.
٤٥ فإن قلتم: فهل تقدرون ألاّ تصفون الله

---

(٦) كلامكم S
(٧) غير غير P
(٨) فالنوع S. om.
(٩) هذا SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واحدًا في العدد بعضًا، وليس بكامل،
يُقال لكم: قد نصفه(١٠) واحدًا(١١)، كاملًا في الجوهر،
لا في العدد
لأنّه في العدد، أي في الأقانيم، ثلثة؛ فقد كملت صفته في الوجهين جميعًا.

[ب - الوصف في الجوهر]

٤٦ أمّا وصفنا إيّاه واحدًا في الجوهر(١٢)
فلاعتلائه عن جميع خلقه وبريّته
محسوسة كانت أم معقولة
لم يشبهه شيء. ولم يختلط به غيره
بسيط، غير كثيف، روحانيّ، غير جسمانيّ
يأتي(١٣) على كلّ بقرب جوهره
من غير امتزاج، ولا اختلاط.

[ج - الوصف في العدد]

٤٧ وفي العدد، فلأنّه عامٌّ لجميع أنواع العدد.
لأنّ العدد لا يعدو(١٤) أن تكون أنواعه * نوعين: زوجًا وفردًا. S90[1]P54[1]*
فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلثة أقانيم.
٤٨ فبأيّ أنحاء وصفناه، لم نعدل بصفته الكمال شيئًا
لتعلموا وصفنا الله واحدًا ليس على ما وصفتموه.
٤٩ فهذا(١٥) في بدء كلامنا هكذا.

---

(١٠) نصفه G propose ويصف S ويصفه P
(١١) واحدًا G propose وواحد PS
(١٢) في الجوهر S om.
(١٣) يأتي G propose ويات PS
(١٤) يعُدُّ G propose. يعدّوا PS
(١٥) وهذا P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[(٢) الرأي الثاني: النظر في صفات الله وتوحيده]

[أ - النظر في أسماء الله]

٥٠ وأمّا ما وصفتم من أنّ الله حيٌّ، عالم، سميع، بصير
وظننتم أنّا وافقناكم في ذلك، وشهدنا لكم بالصدق
فلننظر(١٦) جميعًا في هذه الصفات من حيٍّ وبصيرٍ وعالم.
٥١ أهي(١٧) أسماء مفردة مرسلة
أم أسماء مضافة تدل * على إضافة شيء إلى شيء؟ G 8
٥٢ وقد يجب علينا أن ننظر
ما الأسماء المضافة وما المرسلة المفردة.
٥٣ فالمرسلة، كقول القائل، أرض وسماء ونار وكلّ ما كان
ممّا قيل، شبيهًا بما لا يضاف إلى غيره.
٥٤ وأمّا الأسماء المضافة المنسوبة إلى غيرها
فكالعالم والعلم، والبصير والمبصر، والحكيم والحكمة، وما
أشبه ذلك.
فالعالم عالم بعلم، والعلم علم عالم.
والحكيم حكيم بحكمة والحكمة حكمة حكيم.
٥٥ وهذا * القول، فيما كان، كثير لما وصفنا S 90²
لكيلا يخرج بنا اتّساع الكلام إلى الكثرة
فيضطرّ السامعون إلى ملله واستثقاله.
٥٦ فإذ بيّنا ما الأسماء المفردة، وما المضافة المنسوبة إلى غيرها
وجب أن نسألكم عن الموصوف بهذه الصفات اللازمة.

---

(١٦) فلننتظر P

(١٧) في PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هل هي لجوهره في أزليّته أم إنّما اكتسبها اكتسابًا
واستوجب الوصف فيها من بعد كما استوجب
أن يوصف له خلق وبريّة
حيث خلق وبرأ(١٨)؛ وسائر ما(١٩) لم أذكر من الأسماء
P 55[1] سمِّي بها صفات * ووصف وحُكيَ بها لافتعاله لها.

[ب - صفات الطبع وصفات الفعل]

٥٧ فإن قلتم، في ما وصفتموه به من حيٍّ، عالمٍ، وحكيم
إنّه إنّما اشتقّت له اشتقاقًا
واستوجبها، كما استوجب جميع ما سمِّي به مَن أكمل فعله لها
فإذ قد يوصف أنّه قد كان ولا خلق له ولا بريّة
حتّى أتى على ذلك بالفعل
هكذا، فليُجَز إذًا أن يُقال:
قد كان الله ولا حياة له ولا علم ولا حكمة
S 91[1] حتّى صارت الحياة والعلم والحكمة * لديه موجودة.

٥٨ وهذا مخالف من الكلام أن يكون سبحانه
G 9 خُلُوًّا طرفة عينٍ من حياةٍ * وعلم.

٥٩ وإن قلتم: «الأمر على غير(٢٠) ما ظننتم ووصفتم لنا
ما(٢١) لزمكم من الشُّنعة، بأنّه قد يوصف
بأنّ لله خليقةً وبريّةً، قبل أن يفارق(٢٢) شيئًا منها بالفعال»
قُلنا: إنّما هما وجهان

(١٨) برى PS، بَرَأَ G propose
(١٩) ممّا S
(٢٠) غير P
(٢١) ما S om.
(٢٢) بل أن يفارق S، بل أن تفارق P، قبل أن تفارق G propose d'après Kindi

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إمّا أن يكون الله، جلَّ وعلا
وحده لم يزل، وما سواه محدثًا.
وإمّا أن يزعموا أنّ(٢٣) البريّة أزليّة أيضًا، غير مُحدثة
فلا نحسبكم إلاّ ناقمين(٢٤)
على مَن وصف الخلق بشيءٍ من ذلك.
٦٠ فإذًا لا محالة قد يُقال:
إنّ الله، له الحمد، قد كان
من قبل أن يكون شيء من الخلائق موجودًا.
فكيف جاز أن توصف لله خليقة وبريّة ولم يخلق
ولم يبرأ(٢٥) بعد حتّى أتى الوقت الذي فيه شاء أن يخلق ما خلق.
٦١ إلاّ أن تقولوا: من أجل أنّه قادرٌ أن يخلق إذا أراد
فقد وجب أن توصف له خليقة قبل أن يخلق.
٦٢ فنقول: إن كان من أجل أنّه قادر على أن يخلق إذا أراد
فقد وجب أن يوصف له خلق لم يزل.
فليوصف إذًا أنّه لم يزل قد أقام القيامة
وأحيا الموتى * ، وبعث مَن في القبور S 91²
وقد أدخل الجنّة جميع الأبرار
وخلّد جهنّم مَن كان لذلك مُستوجبًا
مع أنّي لا أظنُّ أنّ * أحدًا من أهل العقل يقبل هذه الصفة. P 55²
٦٣ فإن رجعتم إلى الحقّ والصواب، وتركتم المراء(٢٦) فيما لا تنتفعون به، وقلتم إنّ هاتين الصفتين لمختلفتان: صفة طباعيّة لم

---

(٢٣) فان S
(٢٤) نقمين PS، ناقمين G propose
(٢٥) يبرى PS، يبرأ G propose
(٢٦) المراى PS، المراء G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يزل موصوفًا بها، لازمة به، وصفة اكتسبها له اكتسابًا وهي صفة
فعله، رجعنا إلى مسألتنا الأولى.

[ج - أسماء مفردة وأسماء مأسورة]

G 10 ٦٤ * نسألكم إذًا رأيكم(٢٧):
هذه الأسماء التي تسمّى(٢٨) بها
هل هي دالّة على أسماء مفردة؟
٦٥ وقد فسَّرنا الأسماء المفردة في صدر هذا الكتاب،
حيث وصفنا أنّ المفردة هي كقول القائل:
أرض وسماء أو إنسان أو فرس، وما أشبه ذلك
وأمّا المأسورة المنسوبة المضافة إلى غيرها
فكحيٍّ وعالمٍ وحكيم.
٦٦ فإن كان الله لم يزل حيًّا، عالمًا
فالحياة والعلم إذًا أزليّة(٢٩).
وإن كان الأمر على ما وصفنا
فلا محالة من أن تكون هذه المنسوبة إليه،
الحياة أعني والعلم،
S 92[1] * إمّا غيره، كما ينسب الشريك إلى الشريك
وإمّا منه.
٦٧ فـ«منه» أيضًا على وجهين:
إمّا فعل فعلٍ منه
فقد نفينا عنه هذه الصفة
ولزمها من الشُّنعة، ما لزمها في موضع ذكرها،

---

(٢٧) رايثم SG
(٢٨) يسمّى SG
(٢٩) هنا ينتهي نصّ الكنديّ المأخوذ عن أبي رائطه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإمّا ما تكون من جوهره.

٦٨ وإن كانت أيضًا من جوهره، فذلك على وجهين:

إمّا كاملة من كامل

وإمّا أبعاض من كامل.

٦٩ فأمّا الأبعاض فلا يجوز في صفة الله لأنّه معلًّى عن ذلك،

فإذًا لا محالة أنّها كاملة من كامل.

[د - إبطال الاتّصال وإبطال الافتراق وإثباتهما معًا]

٧٠ فإن كان هكذا[٣٠]، فلا بدَّ من أن توصف:

إمّا مفترقة متباينة، لا اتّصال لها

وإمّا متّصلة مأسورة، لا تباين لها

وإمّا مأسورة مفترقة، جميعًا معًا.

٧١ فإن قالوا: إنّها مفترقة غير متّصلة

فقد وصفوا أنّ الله محدود

لأنّه لا سبيل أن يكون شيء واحد

بعضه مفارق مباين البعض

إلاّ وهو خارج * من غير جوهره. P 56[1]

فقد حجز بين بعضه وبين بعضه

وهذا نقض لما وصفوا في صدر هذا الكتاب

أنّ الله غير محدودٍ، ولا[٣١] مدروكٍ[٣٢] من الذي يحدُّه.

٧٢ وإن قالوا إنّها مأسورة، متّصلة، غير متباينة * S 92[1]

كان هذا القول أيضًا ممّا يدعو[٣٣] إلى نقض قولهم

---

(٣٠) هكذا S

(٣١) ولا .P om

(٣٢) لن كل مدروك مدروك .S add

(٣٣) يدعوا PS يدعو G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بأنّها * كاملة من كامل، لأنّ هذه صفة أبعاضٍ وأجزاء، G 11
لا صفة كامل[٣٤].
٧٣ فإن هدمت هاتان الصفتان
أعني التفريق وحده والاتّصال وحده[٣٥]
فلا شكّ أنّ الصواب في الصفة الثالثة
بأنّها[٣٦] متّصلة مفترقة جميعًا معًا.

[هـ - اتّصال في الجوهر وتباين في الأقانيم]

٧٤ فعند هذا القول يثبون[٣٧] إلى الأخذ علينا بالطريق
ويسألونا كيف[٣٨] يكون[٣٩] أمر واحد متّصلًا مفترقًا
أما تعقلون ما تصفون؟
فنجيبهم عن ذلك: «بل إنّا نعقل ما نصف».
٧٥ فلو كان وصفنا إيّاه بالاتّصال والافتراق جميعًا بها فيها
أي في الوجه الذي نصفه به متّصلًا مأسورًا
به أيضًا نصفه مباينًا مفارقًا
كان لعمري تلبُّسًا علينا في عقولنا
٧٦ فأمّا إذا وجد الأمر، بخلاف ما ظننتم
وأُلفي على غير ما توهّمته قلوبكم
فإنّا نقذف بالعِهْنِ[٤٠]، ونضرب بالسياط من الصوف المنفوش[٤١]

---

(٣٤) كمال P
(٣٥) وهذه S
(٣٦) انها S
(٣٧) ينبون P
(٣٨) كيف S om
(٣٩) افيكون P
(٤٠) بالقطن PSG
(٤١) المنقوش PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فالواصل إلينا من ألم ضربتكم
مثل الذي يصل من الريح الساكنة الهادئة
إلى العالي من الصنوبر.
٧٧ لأنّا إنّما وصفناه * باتّصال في الجوهر S 93[1]
وتباين في الأشخاص، أي في الأقانيم.
٧٨ فإن أنكروا هذه الصفة لاشتباهها عليهم
وقالوا إنّ هذه الصفة شيء مختلف
لأنّ مَن كان جوهره غير أقانيمه
وأقانيمه غير جوهره
لم يكن * في الصفة، ولكن مختلفة، غير ملائمة(٤٢)، P 56[2]
يُقال لهم: أفهل وصفنا جوهره غير أقانيمه كما وصفتم.
٧٩ فإن قالوا: بلى(٤٣) قد وصفتم ذلك
حيث زعمتم أنّ وجه اتّفاقه غير وجه افتراقه
ووجه افتراقه غير وجه اتّفاقه
يقال لهم: إنّ الأمر على غير ما تذهبون إليه.
إنّما وصفنا أنّه متّفق(٤٤) في الجوهر، مفارق في الأقانيم
وجوهره هو أقانيمه، وأقانيمه هم جوهره
بمنزلة أضواء(٤٥) ثلٰثة في بيتٍ واحد.
٨٠ فلا يظنّن منّا أحد أنّا عنينا سرجًا ثلٰثة، بل عنينا أضواءها G 12
وإن كان الله تبارك، عن كلّ قياسٍ متعاليًا.
فالأضواء ثلٰثة، وواحد هو بعينها.
٨١ أمّا ثلٰثة فلأنَّ كلّ واحد منها قائم بعينه، ثابت بذاته

(٤٢) ملاوم PS، ملائمة G propose
(٤٣) بلا PS، بلا G propose
(٤٤) متسق P add.
(٤٥) أضو P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإن كان ليس بينه وبين غيره من الأضواء حاجز في المكان.
٨٢ وأمّا واحد فلاتّفاقها جميعًا في الضواء(٤٦)
S 93[2] * ودليل ذلك أنّها واحد وثلثة
فإن كلّ واحدٍ منها غير الآخر في قوام ذاته
لأنّه(٤٧) لو أخرج بعض تلك السرج من البيت
خرج ضوؤه معه(٤٨) من غير أن يبقى منه شيء(٤٩)

[و - في استخدام القياس]

٨٣ فإن قالوا: فهل يمكن أن تكون أضواء ثلاثة
من غير مصابيح ثلاثة؟
وهكذا(٥٠) تصفون الأقانيم الثلاثة أنّ لها معدنًا
كمعدن الأضواء الخارجة من المصابيح
٨٤ يُقال لهم: إنّ حدَّ القياس عند أهل الرأي
ما أشبه(٥١) في بعض الوجوه
فكان الغالب عليه الاختلاف
فلو أنّ القياس أشبه المقاس به في كلّ أنحائه
ولم يخالفه في شيء منها
كان إذًا هو الأمر الملتمس له قياسًا قائمًا
فإنّما يشتقُّ من القياس ما احتيج إليه
لا ما أستغني عنه.

(٤٦) الضوية PS، الضواء G propose
(٤٧) لأنّه S om.
(٤٨) ضو معمه P
(٤٩) أو يلحقه من الباقية شي S add.
(٥٠) وهكذى PS وهكذا G propose
(٥١) شبه SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٨٥ فلو أنّ الله سبحانه، أي الأقانيم، نور وضوء محسوس،
لكان لعمري كلّ واحدٍ منها محتاجًا إلى علّته
يخرج منها كحاجة الأضواء المحسوسة * P 57[1]
التي هي محتاجة إلى المعادن.
٨٦ فأمّا اختصار وصفنا لأضواء معتليّة عن الحواس والعقل جميعًا
* لم نضطرّ إلى أن نصف لكلّ واحد(٥٢) منها علّةً S 94[1]
بل أحدهما علّة الاثنين بلا بدء(٥٣) ولا زمان.
والاثنان(٥٤) مضافان(٥٥) إلى الواحد إضافة جوهريّة طباعيّة.
٨٧ وهما كاملان من كامل كحوّى * وهابيل G 13
اللذين هما من آدم، كاملين(٥٦) من كامل.
وهما مضافان إلى آدم إضافة جوهريّة
وهما في الإنسانيّة واحد، ثلٰثة في الأقانيم.
٨٨ فجوهر اللاهوت ثلٰثة أقانيم
وثلٰثة أقانيم جوهر(٥٧) اللاهوت جوهر.
لأنّ مخالفة الجوهر الأقنوم الواحد
كمخالفة شيء عامّ لبعض خواصّه
لأنّه خالفه بكثرة ضمّه لا بالجوهر.
٨٩ فالإنسان العامّ، أي الناس أجمعون،
لم يخالف(٥٨) موسى وهرون(٥٩) أي الأشخاص،

---

(٥٢) واحدًا P
(٥٣) بدى PS وبدء G propose
(٥٤) الاثنين S
(٥٥) يضافان S
(٥٦) كاملان S
(٥٧) جوهر. S om
(٥٨) لم خالف P
(٥٩) لهرون PS، وهرون G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إلاّ بضمّ الكثرة.
وأمّا في الجوهر، فواحد لأنّ لموسى وحده، ولهرون وحده
جميع ما للناس أجمعين، غير ضمّ(٦٠) الكثرة
٩٠ فلو أنّ مَن أراد أن يحدّ الإنسان العامّ لحقّ حدّه
لم يعد أن يحدَّه بأنّه حيٌّ منطيق مائت:
S 94[2] ولو أراد أن يحدّ موسى وهرون وحدهما * أيضًا
لم يعد(٦١) ما حدّ به الإنسان العامّ لأنّه حيٌّ منطيق، مائت.
٩١ وإن قالوا: فإن صارت هذه الأقانيم الثلثة لديكم في الجوهر
فليوصف كلّ واحدٍ منها بصفة الأخرى
والدًا أو مولودًا أو خارجًا، حتّى لا يخالف بعضها بعضًا.
٩٢ يُقال لهم: لعمري، لو لم يكن كلٌّ واحدٍ منهم
أقنومًا كاملًا، مباينًا(٦٢) للآخر بخاصّيّة
لكان يصير كلّ واحد منها كما وصفتم.
فأمّا إذ قد صار كلٌّ واحد منها أقنومًا(٦٣) كاملًا
معتقلًا بخاصّيّته التي بها يخالف الآخر
لم يلزم كلّ واحد منها بصفة الآخر في الخاصّيّة(٦٤)
بل كلٌّ واحد منها يعرف بخاصّيّته
P 57[2] الآب بأبويّته، والابن(٦٥) ببنوّته، والروح بخروجه * من الآب.
٩٣ G 14 وليس اختلاف خواصّها بالذي يصير جوهره(٦٦) * مختلفًا
كآدم وهابيل وحوّى الذين هم جوهر واحد لا اختلاف فيه

(٦٠) الضمّ PS وضمّ G propose
(٦١) يحدّ P
(٦٢) مباين PSG
(٦٣) قنومًا PSG
(٦٤) الخاصة SG
(٦٥) وإلاّ P add.
(٦٦) جوهرها S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لأنّ كلًّا إنسان[٦٧].
٩٤ وليس صفة خاصّة أحدهما صفة خاصّة الآخر
لأنّ آدم والد لا ولد. وهابيل ولد والد
وحوّى[٦٨] * خارجة من آدم لا والد ولا ولد. S 95[1]
لزم كلّ واحدٍ منهم خاصّيّته[٦٩] التي بها يخالف[٧٠] الآخر[٧١]
من غير أن يكون الجوهر مختلفًا[٧٢] كما ذكرنا.
٩٥ وآدم وهابيل وحوّى سرُّ الآب والابن وروح القدس
بقدر ما يمكن المحسوس المبصر[٧٣]
أن يكون سرًّا لما ليس بمحسوسٍ ولا مبصر.
٩٦ فإن قالوا: فإن كانت الأقانيم الثلٰثة، الموصوفة منكم، إلاهًا
على ما ذكرتم من أمر آدم وهابيل وحوّى
فما الحائل بينكم وبين أن تصفوها آلهةً ثلٰثة
كما قد يوصف آدم وهابيل وحوّى أناسًا ثلٰثة.
٩٧ يُقال لهم إنّه إنّما جاز
أن يوصف آدم وهابيل وحوّى أناسًا ثلٰثة
لحال[٧٤] ما يوجد بينهم من الاختلاف.
ما لا سبيل أن يوجد مثله في هذه الثلٰثة أقانيم البتّة.
٩٨ فإن قالوا: وما[٧٥] ذلك الاختلاف؟

---

(٦٧) الإنسان P
(٦٨) حوّا P
(٦٩) خاصّته P
(٧٠) تخالف P
(٧١) للآخر S
(٧٢) مختلف PS ومختلفًا G propose
(٧٣) البصر P
(٧٤) بحال S
(٧٥) ما S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُفارق آدم وهابيل وحوّى بعضهم(٧٦) بعضًا
من غير أن يوجد في هذه الأقانيم الموصوفة منكم إلهًا مثله
فأبينونا(٧٧) به لنعرفه.

[ز - صفة الاختلاف في الإنسان ليست نفسها في الله]

٩٩ يُقال لهم: إنّا مبيّنوكم إذا سألتمونا ذلك
فأوّل اختلافهم أنّ منهم أوّلًا وأجزاء
بعضها(٧٨) أقدم من بعض في الكون لأنّهم مكوَّنون
S 95² في أزمنة * مختلفة وأحايين متقدّمة ومتأخرّة.
ثمّ إنّهم محتاجون إلى أماكن متباينة
شاملة لزرع أجسادهم
وقد يختلفون في القوّة والهمّة
G 15 * لأنّهم ليسوا سواء(٧٩) في القوّة والهمّة
P 58² ١٠٠ * فقد زادوا في الاختلاف، فضلًا على ما ذكرنا
مخالفة كلّ واحدٍ منهم نفسه
حتّى لا يكاد يوجد طرفة عين ولا لمحة بصر، لنفسه مسالمًا
فلهذا وأشباهه، وصف آدم وزوجته وابنه أناسًا ثلٰثة.

١٠١ فأمّا المتّفق في جميع أموره
المتّسق في جميع حالاته، من القبليّة والبعديّة
بل كلّ أوّل واحد، وقبل وبعد،
أعلى خاصّة(٨٠) المكان لروحانيّته ولطف جوهره،

---

(٧٦) لبعضهم S
(٧٧) بيّنونا SG
(٧٨) لبعضهم P
(٧٩) اسوا S
(٨٠) حاجة SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مَن لا اختلاف في قوّته، ولا تشتّت[٨١] في مشيئته
ولا في أفعاله، جوهر واحد، كيف يجوز في الذي حاله
هكذا، أن يوصف بالآلهة الثلثة؟

١٠٢ فلو أنّ حال آدم وزوجته وابنه
كانت متّفقة في جميع أمورها،
لم يختلفوا في وجه من الوجوه
جاز القول فيهم إنّهم إنسان واحد.
لكنّ علّة تسميتهم أناسًا ثلثة
الذي * لحقهم من الاختلاف كما ذكرنا S 96[1]

[ح - عودة إلى قضيّة الاتّصال والافتراق]

١٠٣ فإن قالوا: كيف يجوز أن تصفوا الله
بهذه الصفة من الاتّصال والافتراق جميعًا؟
فهل يكون الاتّصال إلاّ وقد سبقه افتراق
أو افتراق إلاّ وقد تقدَّمه اتّصال؟

١٠٤ يُقال لهم: إنّكم لو ألطفتم النظر فيما ورد عليكم
من وصفنا الله من اتّصال وافتراق جميعًا معًا[٨٢]
أعظمكم ذلك وكثر له تعجّبكم.

١٠٥ فإنّكم قد تجدون في بعض صفات الجسوم وغيرها
إن أنتم ألطفتم النظر وناصحتم أنفسكم
شبيهًا بما وصفنا الله به
وإن كان عن القياس والأشباه متعاليًا.

١٠٦ فالواجب على مَن كان لنفسه مناصحًا
ولها محتاطًا، وعليها شفيقًا

(٨١) يستت S
(٨٢) ما S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ألاّ يدفع حقًّا وردّ عليه لبغضةٍ[٨٣] سبقت إلى قلبه
من أعداء النعم ولجهله به
بل يعمل رؤيته، ويجيد فكرته * P 58[2]
ويجهد نفسه في ما[٨٤] في التماسه وقبوله والاعتصام به.
G 16 ١٠٧ فما[٨٥] عساكم أن تقولوا في * النفس والعقل والنطق؟
أمتّصلة هي أم مفترقة، أم لها كلتا[٨٦] الصفتين،
أعني اتّصالًا وافتراقًا؟
فهل كانت النفس قطُّ مُباينةً للعقلِ والنطقِ
أو بعض هذين لها، ثمَّ اتّصلت من بعد؟
أو أليس إنّما اتّصالها وتباينها[٨٧] جميعه مع أوّل إنشائها
لم يتقدّم أحدها الآخر؟
١٠٨ فإن أُلفي[٨٨] على ما وصفنا
من أمر اتّصال النفس بعقلها ونطقها وافتراقها
مِمَّن عسى أن يتدبَّر ذلك غير مقنعٍ له ولا كافٍ للطفه
وجب عليه أن نتبعه بقياسٍ منشرحٍ واضح.
١٠٩ أخبرونا عن الشمس وضوئها[٨٩] وحرارتها
أمتّصلة هي بعضها ببعض أم متباينة غير متّصلة؟
أم لها كلتا[٩٠] الصفتين جميعًا، اتّصالًا أعني وافتراقًا؟
فهل تقدّم اتّصالها افتراقها أو افتراقها اتّصالها؟

---

(٨٣) لبقضه P
(٨٤) فيما PSG
(٨٥) فيما S، فما G
(٨٦) كلا PSG
(٨٧) وتبايفها S
(٨٨) الغي S، الشيء G propose
(٨٩) ضؤها PS
(٩٠) كلا PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أم لها كلتا(٩١) الحالين، جميعًا في أصل تكوينها كما وصفْنا؟
١١٠ وماذا تقولون في الخمس الحواس الجسدانيّة؟
أمتّصلة هي، مأسورة في الجسد بعضها ببعض
أم مفترقة متباينة لا أسر لها؟
أم لها الأمران جميعًا؟
١١١ فلا ريب في مسألتكم إيّانا
على ما استنار من بيان حجّتنا، وضياء برهاننا.
فهل تقدَّم اتّصال الحواس في الجسد افتراق
أو افتراق سبق اتّصال(٩٢)؟.
١١٢ فإن كانت النفس * والبشر(٩٣) والحواس وهي مخلوقة مبريّة S 97[1]
متّصلة مفارقة جميعًا معًا
من غير أن يسبق اتّصالها افتراق وافتراقها اتّصال
فقد ثبت وصفنا بأنّ الله سبحانه أقانيم ثلٰثة، مأسورة
لاتّفاق جوهرها، ومتباينة لحال قوام ذات كلّ * واحد منها P 59[1]
من غير(٩٤) أن يتقدّم اتّصالها افتراق وافتراقها اتّصال.
١١٣ فإن قالوا: ومن أين يشبه ما قستم
من أمر النفس وعقلها ونطقها والشمس وضوئها وحرارتها
والحواسّ واختلافها صفتكم الأقانيم الثلٰثة؟
* إنّما هي أجزاء وأبعاض للذي(٩٥) هي له. G 17
١١٤ أهكذا تصفون إلٰهكم بأنّه من أجزاء وأبعاض
غير ملائم بعضها بعض.

---

(٩١) كلا PSG
(٩٢) اتّصال PSG
(٩٣) والجدّ P
(٩٤) غير P
(٩٥) الذي P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهذا إذًا واحد مركب من أجزاء مختلفة
كاختلاف أجزاء النفس والشمس والحواس
وكلّ واحد منها مخالف للآخر في جميع أنحائه.
١١٥ يُقال لهم: إنّا لم نضرب لكم مثلًا
من الشمس والنفس والحواس قياسًا
ونحن نريد نقتاس بتجزئة أجزائها.
إنّما اتّخذناها قياسًا لحال اتّصالها وافتراقها جميعًا معًا
لم تتقدّم أحدها الآخر.
S 97[2] ١١٦ وقد قلنا في القياس، قبل هذا الموضع، في هذا الكتاب *
إنّه ما أشبه في بعض وجوهه، وكان الاختلاف غالبًا عليه.
١١٧ فأمّا أنّهما كاملان من كامل الابن(٩٦) أعني،
وروح القدس من الآب
فقد أبنينا على تفسير ذلك عند وصفنا آدم وهابيل وحوّى(٩٧)
وأوضحنا(٩٨) القول فيهم بأنَّ حوّى وهابيل من آدم
كاملان من كامل، أقانيم ثلٰثة، جوهر واحد
لأنّ الله له الحمد، خلقهم على سرّ عدد أقانيمه وتوحيد
جوهره.

[ط - لماذا الله ثلٰثة وليس عشرة أو عشرين؟]

١١٨ فإن قالوا: ما الذي دعاكم
إلى أن تصفوا الله سبحانه أقانيم ثلٰثة
دون عشرة أو عشرين أو أقلّ من ذلك أو أكثر؟
١١٩ يُقال لهم: إنّا لم نصفه ثلٰثة أقانيم دون جوهر واحد

---
(٩٦) أو لابن S
(٩٧) حوّا S
(٩٨) وأضحنا P

١

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهذه الثلٰثة أقانيم جوهر واحد في جميع أنحائه
ما لا سبيل إلى أن يوجد لذلك نظير ولا مثل.
١٢٠ فأمّا قولكم ما الذي دعاكم
إلى أن تصفوه أقانيم ثلٰثة بلا زيادة ولا نقصان
فإنّا مخبروكم أنّ الذي دعانا إلى أن نصفه * بهذه الصفة P 59[2]
وجود الأقانيم أنفسها لأنّها لم تزل ثلٰثة، جوهرًا واحدًا
كما ذكرنا أنّ الله ذو علم وروح
وعلم الله وروحه دائمان قائمان لم * يزلا S 98[1]
لأنّه لا يجوز في صفة الله * له الحمد G 18
أن يكون موصوفًا في أزليّته، بلا علم ولا روح.
١٢١ أو أليس هذا الكلام محالًا بعينه أن يسأل(٩٩) عمّا هو عليه؟
إنّما يُقال لهم: لِمَ صار هذا هكذا لما له ابتداء(١٠٠) أو مبتدئ؟
ليجاب: لعلّه هكذا وكذا.
فأمّا مَن لا ابتداء(١٠١) له ولا صانع
فلن يجوز * فيه لِمَ صار لأنّه أزلي، لم يزل ولا يزال.
١٢٢ وما عساكم أن تُجيبوا لو سألكم بعض الجحّاد
عن الواحد الفرد الذي تعبدون
لِمَ صار لديكم واحدًا فردًا دون اثنين أو ثلٰثة أو أكثر من ذلك؟
وما الذي دعاكم إلى أن تصفوه بهذا الصفة؟
وهل لذلك عندكم علّة أو سبب؟
١٢٣ تعرّفونا جوابكم إيّاه في الواحد الفرد
لنحتذي حذوكم في الجواب
في ما سألتمونا عن الثلٰثة.

(٩٩) سيل P، يسئل SG
(١٠٠) ابتدى PS وابتداء G propose
(١٠١) ابتدى PS وابتداء G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فما أجبتم عن الواحد الفرد، فليكن لنا جوابًا في الثلٰثة.
فما أجبتم(١٠٢).
١٢٤ مع أنّا قد نستدلُّ أنّ الله جلّ ثناؤه واحدًا وثلٰثة
فضلًا عمّا(١٠٣) أخبرت به الكتب
باتّفاق العامّة مع اختلاف أديانها
على أنّ الله «ليس كمثله شيء»،
S 98[2] فالواجب على العامّة النظر فيما وصف الله * به في كلّ ملّة.
١٢٥ فأيّة ملّة وُجدت تصف الله بصفة «ليس كمثله شيء»
فهي العابدة(١٠٤) له، العارفة به.
وأيّة ملّة ألفيت تصفه بالتشبيه(١٠٥) والتمثيل
فهي الضالّة عنه، الجاهلة به.
فكلُّ مَن كان مُوَحِّدًا، ما خلا النصارى
لم يعد أن يصفه واحدًا فردًا معدودًا.
١٢٦ فما قولكم في إنسانٍ واحد، وملكٍ واحد؟
P 60[1] * أليس كلّ واحدٍ منهما فردًا؟
فأيّ تشبيهٍ أعظم ممّا وصفتم؟
١٢٧ فأمّا النصارى فنفت عنه كلَّ تشبيه(١٠٦) ومثل،
لوصفهم إيّاه أقانيم ثلٰثة، جوهر واحد.
١٢٨ ولو أنّ جوهر الله سبحانه كان عددًا فردًا
G 19 لكان(١٠٧) أحطَّ جوهرٍ من جوهر الخلق *

---

(١٠٢) فما أجبتم .S om
(١٠٣) عن ما S
(١٠٤) العايدة P
(١٠٥) بالتشبّه P
(١٠٦) شبيه S
(١٠٧) كان P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذي هو من اثنين الهيولى أي(١٠٨) الإله(١٠٩)، والنوع أي
الصورة
ولو أنّه كان اثنين، لكان به شبيه وله نظير.

[الخلاصة - كمال صفة الله]

١٢٩ فإن وُجد أنّه ثلٰثة أقانيم، جوهر واحد
فقد اعتلت صفته عن كلٍّ تشبيه ومثل
لأنّه لا سبيل إلى أن يوجد في الخلق جوهر واحد
أقانيم ثلٰثة، هو بعينه في جميع ذواته
وهذه صفة الله الحقيقيّة، بلا زيادة ولا نقصان.

١٣٠ * فقد كَمُلَت صفته في كلا(١١٠) الوجهين: S 99[1]
أمّا في العدد، فلاتّفاقها في كلّ أنحاء موصوفة به ذواتها،
وأمّا في الثلٰثة فلانفراد قوام ذات كلٍّ واحدٍ منها،
ولكمال(١١١) أنواع العدد

١٣١ لأنّ أنواع(١١٢) العدد نوعان: زوجًا واحدًا وفردًا واحدًا
وهما موجودان في هذه الثلٰثة.
فأكثر من الثلٰثة تكرارًا في العدد وأقلُّ منها نقصان منه
ما لا يقبله ذوو الرأي في صفة الله.

١٣٢ وهي متّفقة متميّزة ومختلفة
أمّا متّفقة، ففي ماهيّتها ووجودها
ومتميِّزة، لميزة قوام ذات كلّ واحدٍ منها،

---

(١٠٨) أعنى انى S
(١٠٩) Translittération du terme grec «Hylè»
(١١٠) كلّ PSG
(١١١) لكمال S
(١١٢) فان أنواع S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كما ذكرنا قبل هذا الموضع
ومختلفة لاختلاف خاصّة كلّ واحد منها
من غير أن يكون جوهرها مختلفًا لاختلاف خواصّها
١٣٣ لأنّ الخواصّ دالّة على صفات إضافة أقنوم إلى أقنوم(١١٣)
لا على ذوات المضافة كاختلاف خواصّ آدم وحوّى وهابيل
من غير أن يكون جوهرها مختلفًا لاختلاف خواصّها.
١٣٤ فآدم والد لا ولد، وهابيل * ولد لا والد P 60[2]
وحوّى خارجة لا والدة ولا ولد
خواصّ مختلفة لأقانيم متميِّزة، جوهر متّفق.

(١١٣) قنوم إلى قنوم PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[الفصل الثالث: شهادات الكتب في التثليث]

[١ - مدخل]

١٣٥ وقد يجب علينا أن نتبع القول في القياس
بأنّ الله ليس عددًا واحدًا فردًا(١)
بشهادات من الكتب تيقّظًا لمَن خالفنا
وتشديدًا ليقين مَن شايعنا
وإن كان مخالفونا لها مكذّبين بما ادعوا من تحريفنا إيّاها * G 20
بالزيادة فيها، والنقصان منها(٢)
١٣٦ قال نجيُّ الله موسى عن الله عند خلقه آدم:
«لنصنع إنسانًا بصورتنا وكشبهنا»(٣).
ولم يقل: «أصنع بصورتي وشبهي»
١٣٧ وقال في موضع آخر في كتابه:
«لا يجمل(٤) أن يكون آدم وحده، فلنجعل له مثله، معينًا له»(٥)
ولم يقل: «أَجْعَلُ».
١٣٨ وفي موضع آخر من كتابه قال:
«إنّ آدم قد(٦) صار كواحد منّا»(٧)، توبيخًا له بذلك، ولم يقل:
«مثلي»
١٣٩ وفي موضع آخر قال:

---

(١) عدد واحد فرد PSG
(٢) هنا يبتدئ نصّ آخر ورد في رسالة الكنديّ
(٣) تكوين ١/ ٢٦
(٤) يحمل PSG
(٥) تكوين ٢/ ١٨
(٦) قد S om.
(٧) تكوين ٣/ ٢٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«تعالوا ننزل ونفرّق الألسن»(٨)
ولم يقُل «أنْزِلُ».

[٢ – شهادات من الأنبياء]

١٤٠ وإنّ دانيال النبيّ أخبرنا بأنّ الله قال لبُختنصّر:
«لك نقول يا بختنصَّر»(٩) ولم يقل «أقول».

١٤١ وقد ذكرتم أنّ في(١٠) كتابكم مكتوبًا(١١) أيضًا
شبه ما ذكرنا من قول موسى ودانيال
حكايةً عن الله من قُلنا(١٢) وخَلقنا(١٣) وأَمرنا(١٤) وأوحينا(١٥)
وأَهلكنا(١٦) ودمَّرنا(١٧) مع نظائر لهذه كثيرة.
S 100[1] أيشكُّ أحد يعقل أنّ هذا القول * قول شتّى، لا قول واحد
فرد.

١٤٢ وإن قالوا: إنّ العرب قد أجازت هذا القول
G 21 يُقال لهم إنّه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته *
لكان لهم في ذلك تعلّق.
فأمّا إذ سبق العرب في هذا القول العبرانيّون واليونانيّون
والسريانيّون وغيرهم من الألسن
لم يكن لما وصفوا من إجازة العرب ذلك حجّة.

---

(٨) تكوين ١١/٧
(٩) دانيال ٤/٢٨
(١٠) في .P om
(١١) مكتوبًا PSG
(١٢) سورة قرآنيّة ٢/٣٢، ٧/١٠، ١٤/٤٧...
(١٣) سورة ٧/ ١٨٠
(١٤) سورة ١٧/١٧
(١٥) سورة ٤/ ٦١
(١٦) سورة ٦/٦، ١٠/١٤
(١٧) سورة ٢٦/ ١٧٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

P 61[1]

١٤٣ مع أنّه، ومن أين جازت * العرب هذا القول؟
فإن قالوا: بلى، قد أجازته من حيث يقول رجل واحد
أمرنا وأرسلنا وقلنا ولقينا وما أشبه هذا
١٤٤ يُقال لهم: إنّ ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من أشياءٍ مختلفة
والمركب من أعضاء غير متشابهة، لأنّه واحد كثيرة[١٨]
أجزاؤه.
فأوّل الأجزاء من الإنسان، النفس والجسد.
وإنّ الجسد أيضًا مبنيّ من أركان شتّى وأعضاء[١٩] كثيرة.
فلذلك جاز أن ينطق على ما وصفتم.
١٤٥ فأمّا الواحد، البسيط، المتّفق في كلّ أنحائه
الذي لا أعضاء[٢٠] له ولا أجزاء
فكيف جاز له أن ينطق بما وصفتم
من قلنا وأمرنا وأوحينا إذ هو عدد واحد كما زعمتم.
١٤٦ فإن قالوا: إنّ ذلك تعظيم[٢١] لله وإجلال له وتفخيم
أن يقول أرسلنا وأمرنا وأوحينا.
يُقال لهم: لعمري، إن لو لم يقل ذلك مَن ليس مستحقًّا
للتعظيم، لجاز قولكم.
فأمّا إذا كان مَن يتفوّه به مَن كان حقيرًا وضيعًا
لم يثبت قولكم إنّ ذلك تعظيم له[٢٢].
١٤٧ لتعلموا أنّ الله واحد ثلثة من[٢٣] حيث نطق بكلتي[٢٤] اللفظتين

---

(١٨) كثير P
(١٩) وأعضام P
(٢٠) لا عضا P
(٢١) تعظم P
(٢٢) تعظم P
(٢٣) ثلثة .S om
(٢٤) بكلى P

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من أمرت وأمرنا وخلقت وخلقنا وأوحيت وأوحينا.
١٤٨ فأمرت وأوحيت وخلقت دليل(٢٥) على أنّه جوهر واحد
وأمرنا وأوحينا وخلقنا دليل على أقانيم ثلٰثة.

[٣ - قصّة إبراهيم والملائكة الثلاثة]

١٤٩ وبيان ذلك من قول موسى النبيّ
إنّه أخبر في التورية(٢٦) عن إبراهيم الخليل الله قائلًا:
G 22 إنّ الله تراءى(٢٧) لإبراهيم وهو(٢٨) عند باب خيمته *
في موضع كذا وكذا
فلمّا استحرّ النهار جلس إبراهيم على باب خبائه
فرفع عينيه وأبصر رجالًا ثلٰثة قيامًا فوقه
فقام مستقبلًا لهم وسجد لهم وقال:
ربِّ، إن كنت رامقًا إليّ بعين الرحمة،
فلا تجاوزن عبدك(٢٩).
P 61[1] ١٥٠ أفلا ترون * أنّ الذي عاين إبراهيم ثلٰثة عددها
حيث قال: «رجالًا ثلٰثة»، فسمّاهم ربًّا واحدًا
فتضرّع إليه وسأله أن ينزل عنده؟
١٥١ فعدد الثلٰثة سرٌّ لأقانيم الثلٰثة
وتسميته إيّاهم ربًّا لا أرباب سرٌّ لجوهر واحد
S 101[1] ففي ثلٰثة يجوز واحد * كما وصفنا.
١٥٢ ثمّ إنّ موسى أخبر أيضًا وقال:

---

(٢٥) دليل دليل P
(٢٦) التوبة P
(٢٧) ترايا PS، تراءى G propose
(٢٨) وهو P om.
(٢٩) تكوين ١٨/١-٣

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إسمع يا إسرائيل، إلٰهك[٣٠] ربٌّ واحد
معنى ذلك أنّ الله موصوفًا[٣١] بالثٰلثة أقانيم، هو ربٌّ واحد
١٥٣ وإنّ داوود قال في كتابه، بكلمة الله خلقت السماوات
وبروح فيه كلُّ قواتها[٣٢] فقد أفصح داوود بالثٰلثة أقانيم
حيث قال: «الله وكلمته وروحه».
فهل زدنا في وصفنا على ما وصف داوود؟
١٥٤ ثمّ إنّه وصف في موضع آخر من كتابه تحقيقًا
بأنّ كلمة الله إله حقّ، حيث قال لكلمة الله: «أسبِّح»
أفكان داوود ممَّن يسبِّح لغير الله؟
١٥٥ ثمّ إنّه قال: «قال الرب لربّي
اجلس عن يميني حتّى أضع أعداءك تحت موطئ قدميك»[٣٣]
يعني بذلك قول الآب للابن من بعد تجسّده.
١٥٦ ثمّ إنّه قال في موضع آخر: «أرسل كلمته فشفاهم
وخلَّصهم من الموت»[٣٤]
لتعلموا أنّ الكلمة المرسلة ذات كاملة من ذاتٍ كاملة.

[٤ - مثل الأنبياء]

١٥٧ ثمّ إنّ إشعيا المحمود في الأنبياء قال في نبوّته:
«منذ بدأت، لم أنطق خفية، ومنذ كنت ثمّة أنا
والآن أرسلني الربُّ الإله وروحه»[٣٥]
فالآن الله وكلمته وروحه هو قولنا آب وابن وروح القدس.

---

(٣٠) مزمور ٦/٣٢
(٣١) موصوف PSG
(٣٢) مزمور ١١/٥٥
(٣٣) مزمور ١/١٠٩
(٣٤) مزمور ٢٠/١٠٦
(٣٥) أشعيا ١٦/٤٨

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

S 101[2] وكيف يجوز أن يرسل الروح * إشعيا لو لم يكن إلهًا، ذاتًا كاملًا
١٥٨ ثمّ إنّه وصف أيضًا أنّ الله تراءى(٣٦) له والملائكة حافون به
مقدِّسون له، قائلون: «قدّوس، قدّوس، قدّوس الربّ
P 62[1] ذو القوّة المملوءة * السموات والأرض من تسابيحه»(٣٧).
فتقديس(٣٨) الملائكة مرارًا ثلثة واقتصارهم على ذلك
بلا زيادة ولا نقصان
سرٌّ لتقديسهم لأقانيم ثلثة إلهًا واحدًا.
فهذه بعض شهادات الأنبياء على أنّ الله واحد ثلثة، وثلثة واحد
وإن قد اقتصرنا على بعض الأنبياء لكيلا يكثر الكلام فيُمِّل.
١٥٩ ولولا ذلك لأتينا من كلّ شيء شهادات كثيرة
حتّى يكثر فيها الاضطرار وتطول الصحف.
يعرف ذلك مَن قرأ كتبهم.

[٥ - أمر تحريف كلام الأنبياء]

فإن أنكروا هذا القول وجحدوه
وقالوا إنّ الأنبياء لم تنطق به
١٦٠ وإنّما «حرّفتم الكلام عن مواضعه»
وتقوّلتم عليهم الزور والكذب
يُقال لهم: إنّه لو كانت هذه الكتب في أيدينا
من غير أن تكون في أيدي أعدائنا اليهود
كان لعمري يُقبَل قولكم: إنّا غيّرنا وبدّلنا.
١٦١ فأمّا إذ صارت الكتب في أيدي اليهود أيضًا
لم يقبل قولكم أحد

(٣٦) وترايا PS تراءى G propose
(٣٧) أشعيا ٦/٢و٣
(٣٨) فتقدّس S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إلاّ أن يوجد ما في أيدينا من * الكتب S 102[1]
مخالفًا لما في أيدي اليهود منها
مشاكلًا ملائمًا(٣٩) لما كان لدينا منها.
١٦٢ فإن قالوا: إنّ الذين ولّوا تحريفها اليهود
التماسًا بذلك تضليلكم(٤٠)
قلنا لهم: لو كان الأمر على ما وصفتم
لكان ينبغي أن * تكون لديهم صحيحة غير متحرِّفة G 24
لأنّ الذي يلتمس هلاك غيره، لا يرى هلاك نفسه.
١٦٣ فإن وجدنا ما في أيديهم منها، وما في أيدينا منها واحدًا لا
اختلاف(٤١) فيه كما ذكرنا
لم يقبل منكم ما ذكرتم من تحريفها.

[الخلاصة العامّة]

[أ - حقيقة شهادة الكتب]

١٦٤ فإن قالوا: إنّما صار الله لديكم ثلٰثة أقانيم
كشهادة الكتب لكم لزعمكم
وإنّ كلّ واحد منها (صار) موصوفًا ربًّا وإلاهًا
فامتعاضكم من أن * تصفوها أربابًا وآلهة ثلٰثة، ما هو؟ P 62[2]
١٦٥ يُقال لهم: لعمري لو كان الكتب
مع وصفها كلّ واحد من الأقانيم ربًّا وإلٰهًا
لم تضف بعض الأقانيم إلى بعض
وأوجبت أنّ كلّ واحد منها علّة لا معلول

(٣٩) ملائمًا G propose وملاومًا PS
(٤٠) تظليلكم P
(٤١) واحدًا لاختلاف S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لكان ما وصفتم جائزًا مستقيمًا.
فأمّا إذ حقّ أنّ الابن والروح من الآب
لم تصر عللًا كثيرة
لم تُنسب آلهة ثلٰثة ولا أرباب.
١٦٦ فإن قالوا: أوليس البشر كلّهم من علّة واحدة
أي من آدم لا من علل شتّى؟
فقد تصفون أناسًا شتّى
فليوصف هذه الثلٰثة أقانيم * S 101[2]
آلهةً ثلٰثة كنحو ما قيل في الناس.
١٦٧ يقال لهم: فإنّه وإن كانوا يسمّون أناسًا شتّى
فإنّما يعنى بذلك أقانيم شتّى، لا جواهر شتّى
لأنّ اسم الإنسان إنّما هو اسم الجوهر العامّ
ولذلك اشترك في اسمه جميع الأقانيم
فأمّا اسم القنوم الواحد، فكعبدالله وموسى وهرون وغير ذلك
من الأسماء المتشابهة بما وصفنا.

[ب - هل صار اسم الله اسم جوهرعام؟]

١٦٨ فإن قالوا: فإذا صار اسم الله عندكم اسم الجوهر العامّ
فلا ينبغي لكم أن تصفوا كلّ واحدٍ منها إلهًا
دون ثلاثتها إذ صارت لديكم في الجوهر.
١٦٩ يُقال لهم: فإنّه وإن كان اسم الله اسم جوهر
أي اسم ثلاثتها فقد يستحقّ كلٌّ واحدٍ منها التسمية باسم العامّ
لأنّه ليس بمخالف في ذاته ذات غيره من الأقانيم
التي هي معه جوهر عامّ * كاسم الذهب العامّ لكلّ الذهب G 25
وبعض الذهب كامل، لا بعض الذهبيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١٧٠ فإذا ذكر بعض الأقانيم
كان جائزًا أن يوصف إلاهًا وربًّا وجوهرًا وغير ذلك
من أسماء الجوهر * ما خلا كثرة الضم P 63[1]
وإذ أضيف الاثنان إلى الواحد
أي الابن والروح إلى الآب، وصفت إلهًا واحدًا.

[ج – كيف أنّ الآب هو علّة الآب والروح]

١٧١ فإن قالوا: إن كان الآب علّة الابن والروح كما وصفتم
ينبغي أن * يكون الآب أقدم ممَّن هو له علّة S 103[1]
فإن لم يكن الآب أقدم من الابن والروح
وأوجبتم أنّها أزليّة معًا
فليس بعضها إذن مستحقًّا(٤٢) أن يكون علّةً لبعض دون بعض.
وبطل قولكم بأنّ علّة الاثنين واحد.

١٧٢ يُقال لهم: لعمري، إنّ بعض العلل
على ما وصفتم من القدمة التي هي لهنّ علّة
ولكن ليس كلُّ العلّة كما وصفتم لا محالة.
فقد ترون الشمس وهي علّة شعاعها وحرارتها.
هكذا والنار علّة ضوئها(٤٣) وحرارتها
ولم تكن قطّ عادمةً لضوئها(٤٤) وحرارتها
هكذا وللقول في الابن والروح:
هما من الآب، أزليّان من أزليّ بلا سابقة
كانت من الآب لهما.

(٤٢) بمستحق PSG
(٤٣) ضوئها PSG
(٤٤) لضوئها PSG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[د - هل الابن والروح بعض ذات الآب أو فعله]

١٧٣ فإن قالوا: هل[٤٥] يخلو[٤٦] الشيء، إذا نُسِبَ
أنّه من شيء من أن يكون إمّا بعضه وإمّا فعله
فأحد الأمرين إمّا أن يكون الابن والروح بعض ذات الآب
إذ وصفتموها منه، وإمّا فعله.
فإن قلتم إنّها بعضه
لم[٤٧] تستحقّ البعض تسمية الكمال، أي إلاه
وإن كانا فعله، فكذلك أيضًا لم يستحقّ اسم الإله
لأنّه اسم الكمال.

١٧٤ يُقال لهم: لعمري، إن لو كان كلَّما وُصِفَ
أنّه من شيء بعض ذاته أو فعله
لكان * الأمر على غير ما وصفتم. S 103²
فأمّا إذ[٤٨] يوجد شيء من شيء، وبعض من بعض
على غير *[٤٩] ما وصفتم G 26
فقد وُجب عليكم النظر فيما نصف.

١٧٥ فـ«البعض» يوصف على وجهين:
إمّا بعض العدد، وهو كامل بذاته
كموسى وهرون أو غيرهما من الأرباب[٥٠]* P 63²
التي هي بعض الناس أي بعض عددهم
وكلّ واحد منهم إنسان كامل

---

(٤٥) هل P om.
(٤٦) يخلوا PS، يخلو G propose
(٤٧) لم S om.
(٤٨) إذا P
(٤٩) غير S om.
(٥٠) الرقاب S

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإمّا كاليد والرجل اللتين هما أبعاض وأجزاء
من غير أن يستوجب كلٌّ واحدٍ منها اسم الكمال،
أي اسم الإنسان.
١٧٦ هكذا والشيء من الشيء.
فقد يقال على وجه الفعل والبعض وكامل من كامل
فالفعل كالكتابة من كاتب.
والبعض كاليد والرجل من البدن.
وأمّا الكامل من الكامل، فالولد من الوالد.
١٧٧ فقد يُقال إنّه منه ليس فعل، ولا بعضه
بل كامل من كامل كما وصفنا
وهو مستوجب اسم الذي هو منه، أي إنسان من إنسان
وقد يقال إنّ أشياء من شيء
على غير أحد هذه الثلثة وجوه
كحوّى الموصوفة من آدم
وهي منه، لا بعضه، ولا فعله، ولا ولده
كاملة من كامل، إنسان من إنسان
١٧٨ هكذا القول من * الابن والروح من الآب سبحانه،
كلٌّ واحدٍ منهما بعض العدد لا بعض ذات الآب
بل ذاتان كاملتان من ذاتٍ كاملة.
١٧٩ فالابن منه كالولد من الوالد
والروح خارج منبثق منه كخروج حوّى كما ذكرنا
وإن كان الله عن كلّ صفة متعاليًا
ولا بحسب القول في هذا الوجه.

[ديباجة ختاميّة]

١٨٠ الآن قد انتهى من منتهى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كلّ القولِ الأوّل بعون الله وسبحانه
ولواهب النعم جزيل الشكر، والحمدلله[٥١].

(٥١) والحمد دائمًا. ونحن بادون بالقول الثاني إن شاء الله تعالى ذكره.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الخامس

مختار «في التثليث والتوحيد»
من رسالة لأبي رائطه التكريتيّ في
إثبات دين النصرانيَّة وإثبات الثالوث المقدَّس

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في ما يلي مختار من «رسالة لأبي رائطه التكريتيّ في إثبات دين النصرانيّة وإثبات الثالوث المقدّس» يلخّص موقف أبي رائطه من موضوع التوحيد والتثليث. ويكتفي أبو رائطه في هذه الصفحات بتعليل إثبات التوحيد والتثليث من خلال «حدّ القياس المستعمل من ذوي المعرفة»، فيشبّه التوحيد والتثليث بمقولة المصابيح الثلاثة التي لها ضوء واحد، والضوء هو كامل في الذات لواحد وكامل في الذات لثلاثة وهو بالتالي ضوء واحد وثلاثة سوية. واحد في الجوهر وثلاثة في العدد، وهذا ما يثبت - على ما يستطيع القياس تأكيده - التوحيد والتثليث. إلاّ أنّ أبا رائطه، عند السؤال عن العلاقة بين أقنوم وآخر أو إضافة أقنوم إلى آخر، لا يجد في القياس ما يفسّر الصعوبة، بل هو يلجأ إلى مقولتي الخاصّ والعامّ، بحسب ما شرحه أرسطو في كتابَي طوبيقا الثالث والرابع، ممّا يؤدّي إلى القول بجوهر واحد في ثلاثة أقانيم: «فاسم الله له الحمد اسم جوهر بذوات الأقانيم الثلثة بلا زيادة ولا نقصان. وهده الأقانيم جوهر واحد لا جواهر» (رر٣٠). أمّا الإضافة أو العلاقة فهي جوهريّة لأنّ الآب علّة أزليّة للابن والروح، وهذا يعني أنّهما كاملان من كامل في كلّ أنحاء الجوهر على اختلاف الخواصّ وهي الأبوّة والنبوّة والانبثاق.

وهذا المختار أعدنا تحقيقه عن مخطوط سباط ١٠٠١ يعقوبيّ (S 186 no - S 192 no)، مع المقارنة بنشرة غراف (الصفحات ١٤٠ إلى ١٤٦ من المجلّد رقم ١٣٠).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[مختار من «رسالة لأبي رائطه التكريتيّ في إثبات دين النصرانيّة والثالوث المقدّس»]

أ - [مدخل]

S 186[1] ١ *وإذ سئلنا عن بعض قولنا في الله سبحانه من أمر التثليث والتوحيد

G 140 وأمر التجسّد والتأنّس، وغير ذلك من صفاته
فأجبنا(١) برأيٍ أو قياس أو حجّة من كتاب
فوقع قريبًا من البغيّة، وأقنع السائل في جوابه
شكرنا الله على ذلك.

٢ وإن ألفي بعيدًا منها، غير ملائم لها
في جميع أنحائه أو جلّها
فذلك جميل هو على صدق قوله:
أن تصفني الواصفون، فلا ينال العقول

٣ نعني في ذلك قد سهل علينا جوابك وجواب غيرك
فإن وقع ما عسى أن نجيبك به موافقًا شافيًا(٢)
فذلك من الله له الحمد وحده

٤ وإن قصَّرنا عن رجائك
وخالفنا ظنَّك فيما طمعت فيه منّا والتمسته لدينا
فجدير أنت أن تر[و]مَ ذلك بعقلك، وتتغمَّضه بشرفك
وتركن فيه إلى حسن الظنّ بمودَّتك

٥ فالمذموم لعمري من بَخُلَ بما عنده وإن قلَّ، والعاجز عند الكلام
S 186[2] وهذا حين صرت إلى جوابك ومرادك * ، إن شاء الله تعالى.

---

(١) ناجيند S
(٢) شانيًا SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب - [رأي المسلمين في التثليث وردّ أبي رائطه]

٦ قال مخالفونا: «يا معشر النصارى! وصفتم الله آلهة ثلٰثة
لإثباتكم[٣] إيّاه أقانيم ثلٰثة وواحدًا فردًا في العدد
ووصفنا إيّاها بما هو ملائم لها في جميع أنحاء جوهرها
وماهيّتها»[٤].

٧ فاعلم، يا أخي، أنّهم على إحدى منزلتين لا محالة:
إمّا قوم لم يعرفوا مذهب قولنا، وغرض نحلتنا
فيعذروا في وصفهم إيّانا بغير ما نحن عليه لجهلهم به
وإن جاز أن يُعذَرَ[٥] أحد على الجهل،

٨ وإمّا قوم أُوضحوا بالفرق، بعلم ومعرفة،
G 141 من غير اكتراثٍ * ولا حرج،
فيلزمهم من العيب والشنعة ما لا يحتاج إلى جوابهم
إذ كان يلزمهم في اعتقادهم واحدًا فردًا
بقولهم ذلك من غير فحصٍ ولا تفتيش
ولو تبيّنوا ذلك لما نطقوا بشيء من هذا.

ج - [إستخدام القياس لإثبات الوحدانيّة والتثليث]

٩ وقد يجدون[٦] في القياس
إذ هم ألطفوا النظر، وناصحوا بالشفقة أنفسهم
سببًا لما وصفنا في بعض وجوهه لا في كلّها.

---

(٣) لإثباتها S

(٤) هذا هو قول المخالفين للنصارى. فالجزء الأوّل من هذه المقولة هو في صيغة المخاطب: «وَصَفتُم»، أمّا الجزء الثاني فهو في صيغة المتكلّم: «وصَفنا»، ولكن كما يقول المخالفون.

(٥) يعذرا S

(٦) يجدوا S، يجدون G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فحدُّ القياس المُستعمل من ذوي المعرفة
S 187[2] فضلًا عن صفة الله، له الحمد، المعتلية * عن كلّ صفة
موصوفة، الأرواح والأجسام جميعًا

[شروط استخدام القياس]

١٠ وإذ غرضنا ذكر القياس
وعظمت حاجتنا إلى استعماله
في إيضاح قولنا لمَن التمس ذلك منّا
وجب علينا الاجتهاد والمبالغة في تصحيحه من أمكن الأشياء،
وأقربها مأخذًا(٧)
وإن بعد ذلك واستُصعب لبعده من الأشياء
المقيس فيه في كلّ أنحائه
١١ فقد ينبغي لمَن تقلَّد ذلك أن يشتقّ قياسًا
لعجز الواحد عن بلوغ صفة الملتمس له قياسًا
وللسائل أن يقبله أشدَّ القبول
وإن لم يجد ذلك في أصول الأشياء
إنّ الملتمس له قياسًا يعلو على كلٍّ قياس موجود
من المعقول والمحسوس كما وصفنا.

[مثل المصابيح الثلاثة وتطبيقه]

١٢ فما قولكم في مصابيح ثلٰثة يوقد ضوؤها
أعني لا ذات المصابيح أعينها؟
أواحد هو خاصّة أو ثلٰثة فقط أو واحد وثلٰثة جميعًا معًا.

(٧) مأخذ S، مأخذًا G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١٣ فإن قالوا : هو واحد خاصّة أي معدود واحد، لا ثلٰثة في الضوء
قلنا : لم نعُدَّ الضوء كلّه لبعض المصابيح
الذي لا يجاوز في إخراج ضوئه خاصّة غيره من المصابيح * S 187[2]
فلسنا نراه يغادر ضوؤه شيئًا G 142
ولا يسلب غيره من المصابيح * خروجه
والخارج أيضًا ضوء كامل في الذات لا بعض الضوء.
١٤ فإن قالوا : ثلٰثة
قلنا : فكيف ذلك وليس بينهم اختلاف في الضوء والإنارة
ولا تباين في المكان
بل ملائمة في جميع حالاتها المستوجبة بها الضوء
ليعلموا أنّ الضوء الموصوف واحد، وهو ثلٰثة جميعًا معًا
١٥ أمّا واحد ففي ماهيّة الضوء وجوهره
وأمّا ثلٰثة ففي العدد الواقع على ذات المصابيح
الخاصّ اللازم لكلّ واحد منها.

[تطبيق المثل على الوحدانيّة والتثليث ومناقشته]

١٦ كذلك القول في الله سبحانه وله الحمد
بل أفضل من ذلك بأنّ لا شبه له ولا مقدار
واحد في الجوهر والأزليّة والعلم والقوّة والمجد والعظمة
وغير ذلك من الصفات الجوهريّات
وثلٰثة في الأقانيم جميعًا معًا
هو بعينه لقوام ذاته خاصّة لكلّ واحد منها.
١٧ وثبوت خاصّته مع توحيده، والتئامه(٨) بغيره من الأقانيم
وانفراده بها، واستدلال الواقع عليه

(٨) والتئامة SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

دون غيره من الأقانيم المتّحد بها سوى ذلك من أنحاء الصفات
الدالّة على جوهره
ما لا سبيل أن يوجد في غيره مثله البتّة كما وصفنا.

S 188[1] ١٨ فإن قالوا: * إنّ الضوء الذي وصفتم
هو وصف إكثارٍ وتوحيد جميعًا
من قول عامٍّ فيه من أنّه ضوء وأضواء وكلّ واحد منها قائم بعينه
غير مضافٍ إليه غيره أو يضاف بعضها إلى بعض

١٩ فما الحائل بينكم وأن(٩) تصفوا هذه الأقانيم
التي ذكرتم إلاهًا وآلهة
وإن كان كلٌّ واحدٍ منها علّة نفسه
قائم من غير أن يضاف إلى غيره من الأقانيم؟
وهذا خلاف قولكم بعينه أبًا وابنًا وروحًا قدسًا(١٠).
فهل بعض هذه الأضواء تضاف إلى غيرها من الضوء
كإضافتكم بعض الأقانيم إلى بعض
G 143 وتسميتكم * إيّاها أبًا وابنًا وروحًا قدسًا(١١)؟

٢٠ قلنا: أتُرانا(١٢) انتفعنا في تقديم تلخيصنا
وشرحنا نعت القياس لكم كثير شيء(١٣)
إذ صرتم تلتمسون قياسًا للسماء وارتفاعها وطولها
على ما هو دونها بمنزلة السقف أو الخباء
فنسأل عن الفلك الدائر والنجوم.
هل نجده في السقف والخباء المضروبين له قياسًا؟

---

(٩) أن S، وأن G propose
(١٠) وروح قدس S، وروحًا قدسًا G propose
(١١) وروح قدس S، وروحًا قدسًا G propose
(١٢) ترانا SG
(١٣) بشيء S، شيء G propse

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢١ أيّها الحكيم، كان سواءً سواءً
في جميع الحال المقيس به ولم يخالفه
فإذا كان، إذ هو الشيء بعينه، لا قياس له،
٢٢ فإنّما اتّخذنا الضوء قياسًا مقنعًا * في بعض أنحائه S 188[2]
في توحيده وتثليثه، جميعًا معًا،
كما وصفنا من الله سبحانه عندنا
جوهرًا واحدًا أقانيم ثلٰثة، جميعًا معًا
لا في إضافة بعضها إلى بعض وتسميتها بإكثار وتوحيد جميعًا
الضوء أعني والأضواء
لا يلزمنا في هذا القول آلهة ملكة وأرباب وربّ كما ظننتم
٢٣ فإذ وجدنا في أصول الأشياء المعقولة المفهومة
شيئًا واحدًا يحتمل كلتا(١٤) الصفتين
وذلك في بعض أنحائه واحدًا أعني
وثلٰثة جميعًا من غير أن يستحيل القول فيه
وجب علينا في سائر الأنحاء الموجودة فيه المخالفة لغيره
شرح ما سبب ذلك وعلمه إلى حقّه وصدقه.

[إستخدام المقولات لتأكيد فعاليّة القياس]

٢٤ واعلم يا أخي أنّ من الأشياء الواقعة على الأشياء
ما يقال على قسمين: أحدها واقع على جوهر الشيء،
وماهيّته، المشترك فيه الجميع
المتجزّئ بلا زيادة ولا نقصان، علٰى قدره وتقطيعه(١٥)،
المباين به نظرائه في الجوهر
الموصوف به علينا، كقول القائل: حيّ وإنسان

(١٤) كلتي SG
(١٥) وتفظيعه SG

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

S 189[1] والآخر على تقطيعه وامتيازه * بعينه،
غير مشارك له في الجوهر.
٢٥ ويوصف به بـ«خاصة» كقول القائل سعد وخالد
بـ«الخاصّ» منها منسوب باسم «العامّ» لمشاركته في الواقع عليه
بكماله من غير نقصان.
G 143 * فأمّا «العامّ» بأن ينسب باسم «الخاصّ» لا بحالة المقول فيه،
فلا.
لا بل قد يوصف سعد وخالد حيًّا وإنسانًا
وذلك كذلك، ولا يوصف الحيُّ والإنسان
بإرسال سعدًا وخالدًا لما فيه من الشنعة والكذب.
٢٦ فإذ قد بيّنا اسم «العامّ» و«الخاصّ» جميعًا
فلننظر في كلّ معنى
كلّ واحد منهما في وقوعه على الشيء المقول عليه
هل يجوز استعمال العامّ منها بإكثار أو توحيد على الانفراد
أو جميعًا كما وصفوا أم لا؟
فإنسان اسم واقع على جوهر
وإنسان وحده بلا زيادة ولا نقصان.
٢٧ فإذا صار الناس كلُّهم
أعني الأشخاص جوهرًا واحدًا اسمه الإنسان.
لم يصحّ تسميتهم بإكثارٍ أيضًا، أي في الناس
وإلا صار معنى ذلك جوهرًا واستحال الكلام،
وصار الموصوف كذبًا.
٢٨ كذلك الضوء الموصوف منّا قياسًا هو اسم جوهر الضوء.
S 189[2] فإن يصحّ(١٦) أن يوصف ضوءًا وأضواء، * فإنّما صار يعني

(١٦) أنصح S، يصح G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك جوهر وهذا المحال بعينه أن يكون جوهر واحد(١٧) جواهر شتّى كما وصفنا.

٢٩ هذا في الخلق الذي الخطأ فيه يسير، ردُّه خفيف؛ فأمّا أنْ يُحتمل ذلك في الله عزَّ وجلّ الذي غير الخطأ في صفته، زيادةً كانت أم نقصانًا، يُفضي عن النعيم ويُقرِّب إلى العذاب.

٣٠ فاسم الله، له الحمد، اسم جوهر بذوات الأقانيم الثلٰثة بلا زيادة ولا نقصان. وهذه الأقانيم جوهر واحد لا جواهر.

[مثل الشمس في تأكيد ولادة الابن الأزليّة وانبثاق الروح]

٣١ فلن يجوز وصفنا بإكثار أي آلهة، بل واحدًا كقولنا في الشمس إنّها ذات ثلٰثة أشخاص ذاتيّة وصفاتٍ جوهريّة بغير تباين ولا افتراق من جوهرها الواحد المقول على صحّة وجودها * G 145
وانفرادها بوحدانيّتها شمس واحدة، ذات جوهر واحد، مدروكة ثلٰثة خواص معروفة أعني القرص الذي هو الموصوف بالصفتين(١٨) الجوهريّتين اللتين(١٩) هما النور والحرارة.
منذ لم تزل، بهما موصوفًا، أنّه لم يزل والد النور، مولِّدًا متساويًا بوجود القرص قديمًا بقدمه، بلا زمان سابق لوجود أحدهما قبل غيره

٣٢ كذلك والحرارة منبثقة منه * في النور المولود منه أزليًّا بأزليّته، S 190[1]
قديمًا بقدمه. ليس القرص النور ولا النور الحرارة بامتياز الوجود الخاصّ لكلّ واحد من القرص والنور والحرارة، بل جوهر واحد، وطبع واحد، وقدرة واحدة، ثلٰثة خواصّ

---

(١٧) جوهرًا واحد S، جوهرًا واحدًا G propose

(١٨) بصفته S، بالصفتين G propose

(١٩) التي S، اللتين G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مدروكة، شمسًا واحدة معروفة.

٣٣ فإذا كان ذلك ممكنًا[٢٠] من المخلوقات المصنوعات، فهل ينكر ذلك في الخالق الصانع، جلّ ذكره، كما وصف ذاته بوجوده، حيًّا، ناطقًا بحياة أزليّة ونطق جوهريّ

٣٤ نطقه مولود منه، أزليّ منذ لم يزل، وحياته منبثقة منه بلا زمان، ثلٰثة خواصّ ذاتيّة، أي أقانيم جوهريّة، أبًا ولدًا لكلمته منذ لم يزل. وابنًا مولودًا بلا زمان وروحًا منبثقًا منه بغير دَرْك، إلهًا واحدًا وربًّا واحدًا وجوهرًا واحدًا.

[مثل إضافة هابيل وحوّى إلى آدم]

٣٥ فأمّا إضافة الابن والروح إلى الآب، فإضافة جوهريّة لم تزل لأنّ الآب علّة أزليّة للابن والروح.

٣٦ لأنّهما منه على اختلاف خواصّهما، لا هو منهما من غير تقديم ولا تأخير، كاملين من كامل، أزليّين من أزليّ، لاتّفاق كلّ واحد منهم مع الآخر في كلّ أنحاء جوهرها وماهيّتها، - كإضافة هابيل وحوّى إلى آدم اللذان[٢١] هما منه، كاملين من كامل - *، G 146 جوهر واحد، ثلٰثة أقانيم مفردة، كلّ واحد منهم بخاصّيّته اللازمة له، منسوب بها، أعني الأبوّة والبنوّة والانبثاق مع التئامها وتوحيدها جميعًا في الجوهر.

٣٧ وكما أنّ آدم وحوّى وهابيل، كلُّ واحد منهم إذا تُؤهِّل بخصيصة ذاتيّة الإنسان، فهو إنسان كامل حقًّا، له حدُّ الإنسان بكماله، وهو حقًّا حيٌّ ناطق مائت وثلاثتها إنسان واحد أيضًا أي جوهر واحد

---

(٢٠) مملكنًا. S، ممكنًا G propose

(٢١) اللذين S، اللذان G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣٨ كذلك القول في الله سبحانه، كلُّ واحد من الأقانيم الثلثة، إذ هو تؤهِّل بخصيصة ذاته، إله كامل لا بعض ولا جزء، وثلثتها أيضًا إله واحد أي جوهر واحد من غير أن يلحقها تباين في المكان لعموم ذاته ولامتزاج جوهرها ولاختلاط طبعها، ليست كالأجسام ولا الأجساد المتباينة المتفرّقة إذ هي ليست بجسد ولا بجسم.

٣٩ وهذا بعض تحقيق قولنا في توحيد الله، له الحمد، وتثليثه بقدر ما يمكن من القياس المخلوق المبصر المحدود، أعني الضوء وآدم وهابيل وحوّى والشمس، لمَن يُكوِّن قياسًا وعلى قدر * S 191[1]
احتمال العقل المخلوق العاجز عن الوقوع على صفة خاصّته فضلًا عن بعده من الوقوع على بعض صفات الله له الحمد.

د - [شهادات من الكتاب المقدّس]

٤٠ وقد يجب علينا أن نتبع القول في القياس في توحيد الله سبحانه، له الحمد، وتثليثه بنبواتٍ وشهاداتٍ وآياتٍ من كتب الله المُنزلة القديمة والحديثة، تصديقًا لقولنا وتعريفًا لمَن يخالفنا معشر النصارى.

٤١ إنّا لم نبدع ولم نلفظ بما لم ينزِّل به كتاب وحملته الأنبياء
G 147 والأبرار * بالقديمة(٢٢) والرسل المبشّرون بالحديثة حكايةً منهم عن الله الذي أوحى إليهم أسراره، وحمّلهم بإذنه ذلك وشرحه كلّ واحدٍ منهم لأهل دهره(٢٣) وزمانه على قدر احتمالهم قبول الأسرار.

٤٢ قال نجيُّ الله في كتابه التورية أنّ الله له الحمد، قال عند

(٢٢) القديمة SG

(٢٣) دهره S، عصره G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خلقه[٢٤] لآدم: «لِنَخلِقَ إنسانًا كصورتنا وشبهنا»[٢٥] فبدأ بالتوحيد إذ وصف بأنّ الله «قال»، وختم بالتثليث بقوله «كصورتنا ومثالنا».

٤٣ ومن قوله: «إنّ آدم قد صار كأحدنا[٢٦] شبيهًا بالقول الأوّل على تثليثه وتوحيده؛ وقوله أيضًا إنّ الله قال عند * اجتماع الناس S 191[2]
كلّهم في بابل والتماسهم بناء الصرح لتضايق الأرض عليهم: «تعالوا ننزل ونفرّق هناك الألسن»[٢٧]. دلّ بذلك على كلتي صفتيه تثليثه وتوحيده.

٤٤ ومن قوله أيضًا عندما تراءى[٢٨] الله لعبده إبراهيم عند باب خيمته: تراءى[٢٨] الله له ممثّلًا رجالًا ثلٰثة فبادر إبراهيم نحوهم وخرَّ ساجدًا لهم قائلًا: «يا ربّ[٢٩] إن كنت لديك مرحومًا، فلا تعدل عن النزول بعبدك لآتي بقليل من الماء وأغسل أرجلكم»[٣٠]

٤٥ المخبَّر منه، لإبراهيم بأنّه حقًّا واحد وثلٰثة، وغير ذلك من قول موسى، ما لو تكلّفنا كتابته لخرج بنا اتّساع الكلام وكثرته عن الجواب

٤٦ ثمّ إنّ النبيّ حقّق قوله بأنّ الكلمة ذات قائمة، إله حقّ من إله حقّ، لا كلام منتقص إذ يقول في قوله لربّه «بأنّك ربّنا أبدًا،

(٢٤) خلقة SG
(٢٥) تكوين ١/ ٢٦
(٢٦) تكوين ٣/ ٢٢
(٢٧) تكوين ١١/ ٧
(٢٨) ترايا S، تراءى G propose
(٢٩) أنت S، إن G propose
(٣٠) تكوين ١٨/ ١-٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

G 148 * قائمة كلمتك موجودة في السماء»(٣١). وقوله أيضًا لكلمة الله: «أُسبّح»(٣٢). فالكلمة إذًا إله حقٌّ مستوجب التسبيح من داوود وغيره من الخلائق.

٤٧ فضلًا عن قول المسيح سبحانه لتلاميذه ورسله عند إرساله إيّاهم لدعوة الحقّ المبطلة ذكر الآلهة * الكثيرة وعبادتها، مبشّرين داعين إلى الله الواحد إذ يقول لهم الحميد «إذهبوا وبشِّروا الناس كافّة، وطهّروهم باسم الآب والابن والروح القدس، وأنا معكم إلى انصرام الدنيا»(٣٣). S 192[1]

٤٨ فذلك صفة لم تزل ولا تزال، كُتِمَت عن الأوّلين لعجزهم عن الوقوع على معناها، وغير ذلك ممّا الله، له الحمد، أعلم به؛ وظهرت للآخرين ليكاملهم في العلم والمعرفة، ولما لَطُفَ ودقَّ في المعنى الموجود فيهم من القول والإيمان بها.

٤٩ وإليها دعوا التلاميذ تفريقًا منهم مَن بايعهم(٣٤) وبين غيرهم ممَّن وصف الله لعزيز صفته وبها حقّقوا دعوتهم الصحيحة اقتدارًا منهم على الآيات غير المحصى عددها والجرائح كلّها كما وصفنا.

[ديباجة ختامية]

٥٠ فهذا في أوّل مسائلهم كافٍ لكيلا يطول القول فيه فيُملُّ لكَثرته.

---

(٣١) مزمور ١١٨/ ٨٩

(٣٢) مزمور ١٤٤/ ٢

(٣٣) متّى ٢٨/ ١٩

(٣٤) بايعهم S، تابعهم G propose

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهرس المؤلَّفات

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهرس أعلام الأشخاص

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهرس أعلام الأمكنة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فهرس المصطلحات
ذات الطابع المنطقيّ والجدليّ والفلسفيّ واللاهوتيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تصميم الغلاف : **جان قرطباوي**

الصفّ والإخراج : **شركة الطبع والنشر اللبنانيّة**
(خليل الديك وأولاده)

الطباعة : **مؤسَّسة دكّاش للطباعة**

٢٩٥-١-٣٠/٦/٩٦

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com



ترمي هذه السلسلة إلى نشر مؤلَّفاتٍ قيّمةٍ، معروفةٍ ومجهولةٍ،
لكلٍّ من الفئات التالية:
المؤلّفين المسيحيّين في العصر الوسيط (بين القرن الثامن والخامس عشر الميلاديَّيْن)،
الفلاسفة الذين كتبوا في الإلٰهيّات والأخلاق والسياسة،
المنطقيّين الذين ألّفوا في قواعد الفكر ومنهجيَّته،
المترجمين الذين نقلوا عن السريانيَّة واليونانيَّة فأغنوا المكتبة العربيَّة،
المتكلّمين الذين دافعوا عن عقيدتهم بلغة محيطهم وثقافة عصرهم...

تدرس أجزاء هذه السلسلة، في كلٍّ منها، حياةَ المؤلِّف
وتعرض أهمّ أفكاره وآرائه مقرونة بنصوصٍ ومختارات من نتاجه.

منشورات:
دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت. لبنان

coptic-books.blogspot.com